

الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

سلطان الله ومسئولية الانسان

ق.د/ سامح موريس

ما في هذا الموضوع الذي نبدأ في دراسته فسوف نتعرض لقضية تسبب الكثير من الحيرة والارتباك للكثير من الناس. هذه القضية رغم أنها معقدة جداً إلا أنها تمس جانب كبير من واقعنا العملي في الحياة. وفي تناولنا لهذه القضية سوف نجيب على الكثير من الأسئلة التي تواجهنا في حياتنا مع الله. وموضوع القضية هو سلطان الله ومسئولية الانسان, فهل الانسان مسير أم مخير؟ هل الانسان مثل قطع الشطرنج التي يُحركها الله كما يشاء دون أي إرادة من الإنسان؟ هل الحياة عبارة عن فيلم قد سبق الله بكتابة السيناريو الخاص به ويستخدمنا لكي نلعب أدواره المختلفة؟ هل الزواج هو قسمة ونصيب وعلى الانسان الرضا بما قسم الله لكل شخص منا أم أنه يتركنا نختار شريك الحياة؟ هل الله قضى بالأمور أن تحدث وقدرها للإنسان بغض النظر عن إرادة الإنسان؟ أو بمعنى آخر كيف يتوافق سلطان الله مع مسؤولية الإنسان؟

هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان محدودة؟

أم هل السلطان الإلهي محدود وحرية الإنسان كاملة؟

أم هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان كاملة؟

الأسئلة السابقة هي مجموعة من الاسئلة الفلسفية التي نجاب عنها دائما بفكر المقدر والمكتوب أو القضاء والقدر وغيرها من الأفكار الخاطئة الفاسدة التي تضللنا وتعصف بنا في طريق الحياة مع الله، لأن طرق تفكيرنا وإجابتنا على الأسئلة السابقة تدين الله وتشوه صورته أمام عيوننا، فعدم التوازن بين سلطان الله وبين مسؤولية الانسان سوف ينشئ عنه الكثير من السلوكيات المريضة والعقائد المشوهة عن الله.

إذا سلمنا بأن سلطان الله كامل وحرية الإنسان محدودة، كيف يحاسبنا الله على أفعالنا وأخطائنا، وكيف نكون مسئولين عن مصيرنا الأبدي وحريرتنا في إتخاذ قراراتنا المحدودة؟! وإذا فرضنا أن حرية الانسان غير محدودة وكاملة وأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء، فكيف يسمح الله بهذه الفوضى وكيف يسمح صاحب السلطان بأن يتنازل عن سلطانه للإنسان المحدود؟!!

من الرائع أن نعرف أن الكلمة المقدسة تجاوبنا وتفك لنا طلاسماً هذا الموضوع الشائك المعقد، فدعونا نُسلم أذهاننا إلى الروح القدس لكي يعلن لنا من الكلمة المقدسة كيف يجاوبنا الله عن هذا الأمر ولنبدأ بالحقيقة الأولى.

أولاً: الله كلي القدرة وكلي السلطان

كلي القدرة

هذا ما عرفناه وفهمناه في الدراسة الخاصة بشخصية الله، فلقد رأينا كيف أن الله كلي القدرة ولا يعسر أمامه أمر، وسوف نستعرض معاً بعض الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة:

- "وَقَالَ يَعْثُوبُ لِيُوسُفَ: اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَبَارَكَنِي". (تك: 48: 3)

- "مِنْ إِلَهٍ أْبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَبَرَكَاتُ الْعَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ. بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ". (تك: 49: 25)

- "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ". (أي: 42: 2)

- "وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (2كو6: 18)

- "قَائِلِينَ: نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكَتْ" (رو 17: 11)

كلي السلطان

- "آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ ِفِدَوْرٍ". (دا: 4: 3)

- "وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الْأَيَّامِ: أَنَا نَبُوخَذُ نَصْرٌ رَفَعْتُ عَيْنِي إِلَى السَّمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَبَارَكْتُ الْعَلِيِّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الْأَبَدِ الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فِدَوْرٍ. وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ كَلَا شَيْءٍ وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الْأَرْضِ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟" (دا: 4: 34, 35)

- "فَأُعْطِي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِيَتَّعَبَدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ". (دا 7: 14)

_ "....." وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ". (زك 9: 10)

- "مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الْأُمَّةَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لَا يَرْفَعَنَّ أَنْفُسَهُمْ".

(مز 66: 7)

- "فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ"

(مت 28: 18)

- "لَأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ وَأَتَرَاعَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاعَفُ». فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ". (رو 9: 15, 16)

هل يوجد حدود لسلطان الله؟

هل كلية سلطان الله وقدرته الغير محدودة تجعله يفعل ما يشاء وقتما يشاء؟

وإن وجد هذا الأمر الذي يقيد سلطان وقدره الله فما عساه يكون هذا الأمر الذي يستطيع أن يقف أمام الله؟ هل يوجد من يملك سلطان أعلى من سلطان الله أم أن الله نفسه هو الذي يفعل هذا؟ دعونا نتقدم رويداً رويداً للإجابة على كل هذه الأسئلة المحيرة، ومنتقل إلى الحقيقة الثانية

ثانياً: الله الخالق وضع قوانين لحكم الخليقة

كما عرفنا وتعلمنا أن الله هو الخالق الوحيد لهذا الكون، فقد خلق السموات والأرض وكل ما فيها. في الأصحاح الأول والثاني من سفر التكوين يتحدث الوحي عن خلق الله للعالم وأيضاً في سفر الرؤيا يؤكد الوحي هذه الحقيقة:

- «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَانَتْ وَخُلِقَتْ». (رؤ: 4: 11)

والله لم يخلق الخليقة بكل ما فيها فقط، بل أيضاً وضع لها القوانين اللازمة لحكم هذه الخليقة، فوضع القوانين التي تحكم حركة الشمس والقمر وكل الكواكب والنجوم التي تسبح في الفضاء، لذلك لا تتصادم هذه الكواكب والنجوم مع بعضها البعض بل تسير وتتحرك وفقاً لنظام وقانون محكم ذاتي العمل، بمعنى أن القانون ينفذ نفسه بنفسه، فلا يحتاج الله في أي وقت أن يرسل ملائكته كي ينفذ قوانينه التي وضعها لحفظ الكون. أيضاً القوانين التي وضعها الله لحكم المادة وحركة الالكترونات حول النواة، هي قوانين في غاية الدقة وكلها تعمل بشكل تلقائي ولا تحتاج من الله أن يفعلها في أي وقت من الزمن، فلقد خلق الله كل شيء وخلق معه قانونه الذي يفعله ويشغله.

في الأصحاح الأول من سفر التكوين والثاني نستطيع أن نميز ثلاثة أنواع من الخلائق في عالمنا وكوكبنا الذي نعيش فيه وهي:

الخلقة الأدبية
لها إرادة حرة

الخلقة البيولوجية

الخلقة الغير بيولوجية
"المادية"



القانون الأدبي الذي يحكم
العلاقات بينها وبين بعضها
وبينها وبين الله



قوانين الحياة والغريزة
التنفس، الإخراج، ...



قانون الجاذبية
وقوانين الكهرومغناطيسية

نلاحظ في الخلق الغير بيولوجية "المادية" أن القوانين الخاصة بها هي قوانين مطلقة أي تنفذ نفسها بنفسها ولا تحتاج من الله أن يتدخل لتنفيذها كلما استدعت الحاجة. ونلاحظ أيضاً أن الخلق البيولوجية "الكائن الحي" خاضعة للقوانين التي تحكم الخلق الغير بيولوجية "المادية" مثل الجاذبية، فالخلق البيولوجية لا تستطيع أن تتجاهل قانون الجاذبية بل يجب عليها أن تخضع له وتحترمه، لكن الخلق الحية البيولوجية لا نخضع فقط للقوانين المادية بل أيضاً وضع الله مجموعة أخرى من القوانين التي هي قوانين الحياة والغرائز والتنفس والإخراج والتكاثر وقد وضعها الله عندما خلق الخلق لكي تحفظها وتحكمها. أيضاً نستطيع أن نميز نوع آخر من الخلائق خلقه الله ألا وهو الإنسان الذي هو رأس الخلق وتاجها، فهو الوحيد المخلوق على صورة الله وله شخصية أدبية تميزه كشخصية الله الأدبية، فلا نستطيع أن نخلط بين خلق الله للحيوانات وبين خلقه للإنسان، فقد أثبت العلماء أن الفرق في التطور بين الشمبانزي الذي هو من أذكى المخلوقات وبين الإنسان كالفرق بين ورقة الشجر وبين الشمبانزي فبينهما مشوار طويل من التطور والإبداع وبينهما الكثير من الكائنات الدقيقة والمعقدة على الرغم من أنه لا يوجد كائن حي بين الشمبانزي والإنسان، فالإنسان خاضع للقوانين المادية وخاضع أيضاً للقوانين البيولوجية لأنه كائن حي له شخصية أدبية وعنده البعد والإحساس الأخلاقي وله القدرة على الاختيار والإبداع، لذا سُمي بالكائن الأدبي. وكما وضع الله القوانين المادية لحكم العالم المادي ووضع قوانين الحياة لضبط الخلق البيولوجية، وضع أيضاً القوانين

الأخلاقية لحكم الكائن الأدبي وتنظيم العلاقة بينه وبينها، وبينها وبين باقي الخلائق الأخرى باعتباره الأسمى بين المخلوقات، وبينه وبين مثيله.

ولأن الله هو واضع كل هذه القوانين سواء المادية أو البيولوجية أو الأخلاقية، فهو يحترم هذه القوانين التي وضعها ويتعامل معها ومن خلالها ولايسمح لنفسه على الإطلاق أن يكسر أي منها أو يستهين بإحداها، وهذا على النقيض تماماً من الذي يحدث في مجتمعاتنا، فواضع القوانين يعتبر نفسه أعلى من القانون وبالتالي يعطي لنفسه كل الحق أن يكسره وقتما يشاء وكيفما يشاء. الله لم يجبره أحد على وضع هذه القوانين بل هو الذي وضعها بنفسه ويريد الجميع أن يحترموها ويخضعوا لها، لذلك فالله فهو أول شخص يحترم هذه القوانين وبالطبع هذا لايقبل من شأنه أو إمكانياته في أي شيء.

ولقد رتب الله القوانين المادية والبيولوجية والأدبية ترتيباً من حيث الأهمية والسلطان، فوضع القوانين الأدبية والأخلاقية فوق القوانين المادية والبيولوجية وأيضاً القوانين البيولوجية فوق القوانين المادية.. لقد أعطى الله سلطان أعلى للقوانين الأدبية على القوانين البيولوجية والمادية، وكذلك أعطى سلطان أعلى للقوانين البيولوجية على القوانين المادية، بمعنى آخر يتدخل الله من أجل القوانين الأدبية في القوانين البيولوجية والمادية ومن أجل القوانين البيولوجية يتدخل في القوانين المادية. هنا فقط نستطيع أن نجاب على السؤال السابق الذي هو: هل يوجد حدود لسلطان الله أو هل يوجد من يُحد الله؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: نعم، يوجد من يُحد الله في قدرته وسلطانه.. وهذا الأمر هو القوانين التي وضعها هو بنفسه، فهو بنفسه وإرادته وسلطانه يختار أن يكون سلطانه محدد بالقوانين التي وضعها لكي ينظم العلاقات بينه وبين الخلائق المختلفة، علماً بأن هذه القوانين كاملة وبارعة لأنها صادرة عن إله كامل وبارع. وهنا يتدخل الله في القوانين بحسب الترتيب الأعلى من حيث السلطان لهذه القوانين، فربما يتدخل الله ليكسر قانون من القوانين المادية لمصلحة قانون من القوانين البيولوجية أو أن يتدخل ليكسر قانون من القوانين البيولوجية لصالح قانون من القوانين الأدبية والأخلاقية، وهذا ما نراه بوضوح في (خر 14: 21، 22):

- "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَأَنْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ".

فالله هنا كسر قانون من القوانين المادية عندما أتى بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة. لقد كسر الله القانون المادي من أجل قانون أدبي ينظم علاقته بالإنسان, فمن أجل موسى عبده الذي وقف أمامه وأمن به وبقدرته صنع الله هذا، وبدون موسى لم يكن ليصنع الله هذه الآية ويكسر القانون المادي.

برهان آخر:

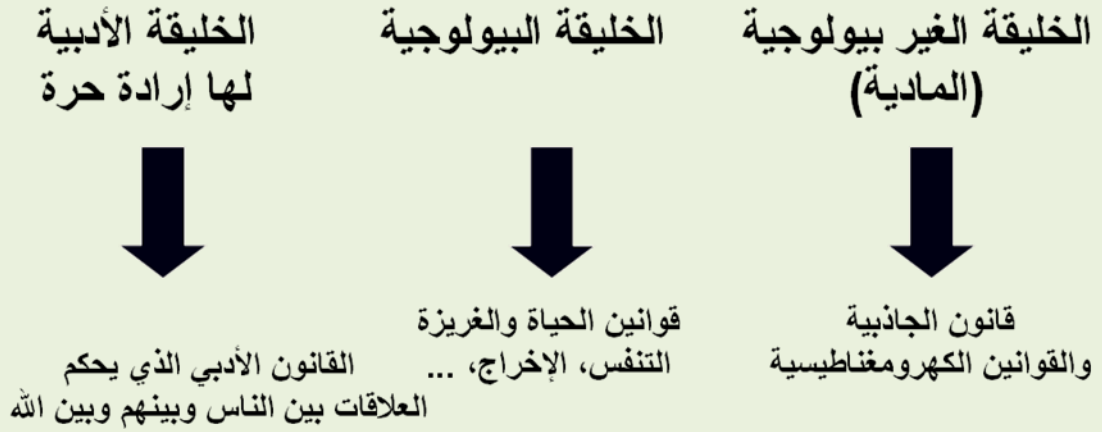
- "فَتَقَدَّمُوا وَأَيَّقُظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ يَا مُعَلِّمُ إِنَّا نَهْلِكُ!» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوَّجَ الْمَاءِ فَأَنْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوءٌ" (لو 8: 24)

هنا الرب يسوع بنفسه الذي هو الله الظاهر في الجسد, كسر قانون مادي وانتهر الريح والبحر فصار هدوء... كل هذا بسبب أن تلاميذه خافوا أن يهلكوا فأيقظوه صارخين طالبين معونته، فكسر القانون المادي لأجل قانون أدبي أخلاقي لصالح الانسان, وهذا ليس معناه أن الله يكسر قوانينه في الوقت الذي يشاء، بل هو لا يكسر القانون المادي أو البيولوجي إلا لصالح القانون الأدبي, وهذا ما يحدث عندما يقرر الله أن يشفي شخص ما فيكسر القانون البيولوجي لصالح القانون الأدبي.

استعرضنا في بعض من الاسئلة التي تدور في أذهاننا عن سلطان الله ومسئوليته عما يحدث لنا وأيضاً مسؤولية الإنسان تجاه هذه الأمور، وبدأنا في الإجابة عن كل هذه الأسئلة وغيرها عن طريق تناول مجموعة من الحقائق، وبدأناها بالحقيقتين الآتيتين:

أولاً: الله كلي القدرة وكلي السلطان

ثانياً: الله الخالق وضع قوانين لحكم الخليقة



ولقد رتب الله القوانين المادية والبيولوجية والأدبية ترتيباً من حيث الأهمية والسلطان، فوضع القوانين الأدبية والأخلاقية فوق القوانين المادية والبيولوجية، والقوانين البيولوجية فوق القوانين المادية، فلقد أعطى الله سلطان أعلى للقوانين الأدبية على القوانين البيولوجية والمادية وكذلك أعطى سلطان أعلى للقوانين البيولوجية على القوانين المادية، بمعنى آخر يتدخل الله في القوانين البيولوجية والمادية من أجل القوانين الأدبية ومن أجل القوانين البيولوجية يتدخل في القوانين المادية. في هذه الحلقة نتناول معاً ماهية القانون الأدبي الذي يحكم الخليقة.

ثالثاً: القانون الأدبي

وهب الله الإنسان الحرية الأدبية "الأخلاقية" في الاختيار، وجعله مسئولاً عن نتيجة اختياراته، ولكن مسئوليته ليست طبيعية فالإنسان مسير في الأمور المادية التي ليست أخلاقية مثل (الشكل، اللون، الجنس، مكان الميلاد، العائلة التي نشأ فيها، القدرات الذهنية) والتي ليس لها تأثير على مصيره الأبدي أو علاقته مع الله أو حتى علاقته مع شريك الحياة، فنحن من نحدد من هو هذا الشريك أو علاقتي مع أولادي لأننا نختار طريقة تربيتنا لأطفالنا، بينما من الممكن أن تؤثر هذه الأمور على علاقتي بوالديّ لأنني لا أملك حرية اختيارهما أو تغييرهما، أي أن الإنسان له الحق في الاختيار في كل الأمور الأدبية الأخلاقية التي تحدد مصيره الأدبي، وهذا مانراه واضحاً في الآيات التالية:

- وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهَ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ». (تك: 2: 16, 17)

في هذه الآية، نرى بوضوح القانون الأدبي ويتضح جلياً مجال عمل هذا القانون فدائرة حكمه هو الخير والشر، أيضاً نرى نتيجة كسر هذا القانون وهي الموت.

- "أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَهَ وَاللْعْنَةَ فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسَلُكَ" (تث: 30: 19)

في هذه الآية، نرى كيف أن الله قد أعطى كل الحرية للإنسان لكي يختار مصيره الأدبي؛ الحياة والموت، البركة واللعة فهو يضع أمامنا البركة واللعة، والحياة والموت ويحثنا وينصحنا أن نختار الحياة لكي نحيا ولكن إذا اخترنا الموت فسوف نموت، فهنا يعيد الله علينا نفس ما قد نادى به في جنة عدن (تك: 2: 16, 17).

- "هَلُمَّ نَتَحَاجِجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيِضُ كَالنَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ شَبَّتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الْأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ". (أش: 1: 18 - 20)

يدعونا الله هنا أن نسأل ونناقش لكي نفتتح فمن غير الممكن أن نقبل الحقائق الإيمانية هكذا دون بحث وفهم واقتناع، فلا توجد حقيقة روحية حقيقية غير مقنعة لأفهامنا، فكل ما هو غير مقنع للعقل هو غير منطقي لأنه ليس بحقيقي. الله نفسه يدعونا أن نتحاجج ونناقش ونفهم ونفتتح حتى يكون إيماننا راسخ مؤسس على الصخر، كما يعطي لنا أيضاً الحرية في الاختيار ما بين الطاعة والتمرد.

"فَصَارَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ: **أَمَا أَسْتَطِيعُ** أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَّارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ الرَّبُّ؟ هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هَكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْفُلْعِ وَالْهَدْمِ وَالْإِهْلَاكِ فَتَرْجِعُ تِلْكَ الْأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا. وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْعَرْسِ فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي فَلَا تَسْمَعُ لِمَوْتِي فَأَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أَحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ". (إر 18: 5-

(10

بقراءة هذه الآيات نفهم من أول وهلة أن هناك الكثير من القدرية والقضاء والقدر بينما في اواخر المقطع الكتابي نبتدأ في فهم مايريد أن يقوله الله، فالطين في يد الفخاري ليس له أي حرية اختيار ونحن في يد الله هكذا إذا فسدنا يعود يصنعنا وعاء آخر، ولكن من الملاحظة الدقيقة نجد أن الله يقول " **أَمَا أَسْتَطِيعُ** أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَّارِيِّ..." فالله يوضح لنا أنه يستطيع أن يفعل كل شيء فهو الكلي القدرة والسلطان كما درسنا سابقاً، ولكنه لا يتصرف هكذا بل هو في بعض الاحيان يتكلم بالهدم والنفاء بالنبوة والرؤى على أمة أو مملكة ثم تقرر هذه الأمة أن تعود إلى صوابها بتوبة ورجوع فيغير الله ماقد تكلم به على هذه الأمة أو المملكة، فتأديبه لهذه الأمة هو بسبب عصيانها ولذلك عندما ترجع إلى رشدها يمحو الله كل تأديب كان مستحقاً عليها، والعكس صحيح ففي بعض الاوقات يتكلم الله على أمة بالبركة والغنى والوفرة ولكن بسبب عدم طاعتها وتمردتها يرجع الله في كل الخير الذي كان عتيداً أن ترثه وذلك بسبب رجوعها من وراء الله، فما سوف يفعله الله بنا يتوقف على موقفنا منه وعلى رغبتنا في القرب أو البعد عنه أي يتوقف على طاعتنا أو تمردنا وليس هو حكم مسبق مقدر ومكتوب مقضي به من قبل الله لا يتغير. يستطيع الله أن يخلقنا طين يصنع بنا مايريد وقتما يريد، لكنه لا ولن يفعل ذلك ويعاملنا هكذا فلقد خلقنا على صورته. فالله ذو الشخصية

الأدبية الغير المحدودة الذي له حرية القرار قد خلقنا على صورته ومثاله، لذا لنا نفس سمات الشخصية الأدبية بصورة محدودة التي تفكر وتناقش لتفهم وتقتنع ولها كل الحرية في اتخاذ قراراتها وهذا نراه في الشاهد التالي:

- «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْنَكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!
(مت 23: 37)

فالرب يسوع ينادي على أورشليم ويدينها لقتل أنبياءه ورجم مرسليه. لقد حاول أن يجمع مشتتها ويضمهم معاً لكنهم لم يريدوا، وهنا لم يستطيع الله أن يفعل شيئاً رغم أنه كلي القدرة والسلطان فاحترم حدود اختياراتهم وقراراتهم، وتهدمت المدينة ولم يبق فيها حجر على حجر في سنة 70 ميلادية. لم يتدخل الله ليجبر أورشليم مدينة الهيكل أن تستمع اليه وتقبل محبته ورأفته وإرادته رغم أنه يستطيع ذلك، لكن ليست هذه طريقته فهو لا يسلب حريتنا التي سبق وأعطانا لنا.

- «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو 1: 11, 12)

من الآية السابقة نتضح حرية الاختيار التي يعطيها الله للإنسان، فهو قد جاء بنفسه إلى خاصته ولكن هؤلاء رفضوه فلم يرغمهم الله على قبوله وطاعته بل احترم حرية اختيارهم، وعلى النقيض من ذلك فكل الذين قبلوه وأطاعوه وسلموه حياتهم احترم أيضاً حرية اختيارهم وأعطاهم نعمة أن يصيروا أبناء الله، فدور الله أن يتكلم ويعلم الخلاص والفداء لكل الناس بطريقة واضحة معلنة ولكن على الانسان أن يقوم بدوره أيضاً في التجاوب مع هذا الصوت الإلهي، فقيام الله بدوره لا يُغفل أو يلغي قيام الإنسان أيضاً بدوره، وهذا ما يؤكد الشاهد التالي:

- «هَنَذَا وَقِفْ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي». (رؤ 3: 20)

يقف الرب يسوع ويقرعه وينادي على كل إنسان ثم يترك له حرية الاختيار أن يقبل أو يرفض فهو لا يجبر أحد على قبوله رغم استطاعته ذلك وبالتالي فهو لا يجبر أحد أيضاً على رفضه.

- "لَا تَضِلُّوا! اللَّهُ لَا يُسْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لَجَسَدِهِ فَمِنْ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنْ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً". (غلا: 6: 7, 8)

وهنا نرى إعلان الله عن هذا القانون الأدبي، منبهاً أن السلوك بغير احترام هذا القانون هو الضلال ومحرراً الإنسان أن كل سير عكس قانون الله الأدبي يعتبر كبرياء وشموخ موجه ضد الله نفسه، وهذا القانون هو: "الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً" بمعنى آخر نستطيع أن نسمي هذا القانون أنه قانون الإرادة الحرة الأدبية في نطاق الخير والشر ومسئولية الإنسان عنهما.

محتوى وفحوى القانون الأدبي

محتوى هذا القانون الذي وضعه الله يتلخص في وصية واحدة فقط لم يزد الله عليها لأن منها ينبع الكل، فهي تعتبر جامعة شاملة لكل وصايا الله لنا، وهذه الوصية أن تُحِبُّ - إنها صرخة الله في آذان البشرية منذ القديم وسمعناها في سفر التثنية:

- "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ". (تث: 6: 5, 6)

وعندما سئل الرب يسوع نفسه عن أولى الوصايا: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» أجاب وقال: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». (مر: 12: 28-31)

يملاً هذا الإعلان الواضح عن هذا القانون جنبات الكتاب المقدس بعهديه، فهذا القانون هو الذي يحكم علاقتنا مع الله وأيضاً يحكم علاقتنا مع الآخرين. إنه قانون واحد؛ قانون المحبة

التي هي عطاء النفس لله والخضوع له من كل القلب والنفس والفكر والقدرة تتماماً لمسرة مشيئته، والتضحية والبذل لمصلحة الآخر المخلوق على صورة الله، لذلك فإختيار الحياة هو أن تختار أن تحب الرب الهك وتحب قريبك، وإختيار الموت هو العكس أن تبغض الله فلا تطيعه وتكره قريبك فتريد له الشر وهذا هو الاختيار الأثاني في الحياة فعوضاً عن إعطاء وبذل نفسي لله وللاخر اختار أن انفصل عن الله والآخر.

واضع هذا القانون هو الله نفسه، لذلك يكون من الطبيعي جداً أن يكون القانون هو المحبة لأن طبيعة الله هي المحبة فهو يقدرها ويرى قيمتها وفي نفس الوقت هو يسلك بمقتضى هذا القانون.

صفات القانون الأدبي

القانون الأدبي هو قانون مطلق يُنفذ نفسه بنفسه، فطبيعته هي غير طبيعة القوانين الوضعية التي يضعها البشر، فالقانون الوضعي يحتاج إلى قوة تنفيذية لضبط المخالف وتقديمه للمحاكمة وصدور حكم قضائي بالعقوبة المستحقة طبقاً للقانون، فإذا لم توجد هذه القوة التنفيذية التي تستطيع أن تضبط المخالف وتنفذ العقاب يصبح القانون عاطلاً عن العمل وغير ذي نفع. وحتى نستطيع أن نتفهم الفرق بين القوانين المطلقة والقوانين غير مطلقة، نتناول مثلاً عن قانون الجاذبية الذي وضعه الله لحكم الطبيعة، فعند ترك القلم من يدك، يسقط على الأرض بفعل هذا القانون فلا يحتاج هذا القانون إلى القوة التنفيذية التي تستطيع أن تضبط المخالف لتخضعه للعقاب فهو قانون مطلق ينفذ نفسه بنفسه، أيضاً إذا رجعنا الى جنة عدن فسرى كلام الله الواضح عن قانونه الأدبي المطلق: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ". (تك2: 17) فالله لن يميت الانسان بفعل محدد إذا قرر الإنسان أن لا يخضع له بل إن عقوبة الخطية متضمنة في داخل القانون نفسه ففي ذات اللحظة التي أكل فيها من الشجرة انفتحت أعينهما على الخير والشر وأنفصلا عن الله وهربا منه، فلم يرسل الله ملاكاً لكي يعريهما لينفذ قانونه، بل على العكس لقد صاغ الله قصة سقوط آدم وحواء بطريقة توحى للقارئ أن الله لم يكن يعلم بسقوطهما وأنه سار في الجنة ليسأل عنهما وهو لا يدري ماذا حدث، لكن الله بمقتضى علمه الغير المحدود كان يعلم بكل ما يحدث وليس بمقتضى أنه منفذ العقاب، لذلك يظهر من قصة

سقوط الإنسان في سفر التكوين أن الله لا يعلم ماذا يحدث، لكن الله يريد أن يفهمنا أنه غير مسئول عن سقوطهما وأنفصالهما عنه فهو لم ينفذ فيهما القانون بل أن القانون يحتوي على آلية تنفيذ العقاب دون الرجوع إلى واضع القانون، وهذا ما يعبر عنه الكتاب بأن الشرُّ يُمِيتُ الشرِّيرَ (مز34: 21)

عندما نقرر أن ن فصل حياتنا عن مصدر الحياة والنور فماذا ننتظر سوى الموت والظلمة، فالموت هو النتيجة الطبيعية لكسر القانون والانفصال عن الله وليس هو عقاب الله على اختياراتنا بالانفصال عنه :

- "أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوْ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟" (أم6: 27, 28)

درسنا في أن الله كلي القدرة والسلطان وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الادبية لحكم الكائن الادبي ورأينا محتوى هذا القانون الذي هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس ورأينا أيضاً ما يميز القانون الادبي فهو قانون ينفذ نفسه بنفسه أي أنه ليس في إحتياج أن ينفذه أحد، فالموت هو نتيجة وليس عقاب وسوف نستكمل معاً في هذه الحلقة دراسة القانون الادبي

➤ فالحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية

هذه الحرية الادبية تختص بالعلاقات بين البشر وليست مادية لذلك فالانسان غير مسئول عن شكله وذكائه وجنسيته ومواهبه وإمكانياته و... وفي هذا لانستطيع أن نتهم الله بأنه غير عادل لان الله يعطي القيمة الاعلى للامور الادبية وليست المادية فسعادة الانسان الحقيقية هي ليست في العالم المادي من شكل وجنسية ووظيفة بل إن سعادته الاصلية هي في علاقته مع خالقه ومع أخوته في الانسانية ومع نفسه البشرية فنحن لنا حرية الاختيار في الامور الادبية التي تتحكم في سعادتنا الانسانية وأبديتنا الزمنية وليس لنا حرية في الكثير من الامور المادية التي ليس لها تأثير على سعادتنا، فمثلاً إذا كنا سعداء مع شريك حياتنا وفي علاقتنا مع اولادنا واصدقائنا ولا نملك القدر الكافي من المال للمعيشة الرغدة فهذا لن

يحيل سعادتنا الى جحيم وعلى العكس إذا كنا نملك المال ولكن لا نستطيع أن نعيش سعداء مع أزواجنا وزوجاتنا ومع اولادنا وأصدقائنا فلن نستطيع المال أن يشري سعادتنا، بل الله في عنايته ورعايته يوفر لكل واحد منا القدر الكافي من الاحتياج الاساسي وهذا ما يخبرنا عنه الكتاب المقدس

الْأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلَا يُعَوِّزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ. (مز34: 10)
أَيْضاً كُنْتُ فَتَى وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرْ صِدِّيقاً تُخَلِّي عَنْهُ وَلَا ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْرًا. (مز37: 25)

➤ الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة

وذلك لان الانسان مخلوق وهو كائن محدود وبالتالي فالحرية المعطاة له من قبل الله هي حرية محدودة ولا يمكن أن يُعطى حرية غير محدودة وذلك لان عليه مسئولية محدودة وبالتالي فسلطانه محدود، فمن الممكن أن نتصور إنسان مثل هتلر مما له من طموح أن يسود ويتحكم في العالم وقد أُعطي له سلطان غير محدود على كل إنسان لكي ينفذ ويحقق اهوائه المريضة، أيضاً إنسان شرير الدوافع وسيئ السلوك وقد أُعطي سلطة هائلة على العالم الذي نحيا فيه فبكل تأكيد سوف يدمر العالم ويحطم الانسانية وسوف يعتدي على حرية الاخرين، لذلك أعطى الله للانسان حرية أدبية محدودة حتى لا تصير الحرية الادبية الغير محدودة هي نفسها إعتداء على حرية الاخر وتتحول العلاقات الى فوضى لا يمكن حسابها أو السيطرة عليها وبالتالي أُعطي للانسان مسئولية محدودة على حسب مقدار حريته المحدودة وهذا ما أعلنه لنا الكتاب المقدس

لَا تَضَلُّوا! اللَّهُ لَا يُسْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. (غلا6: 7)

➤ أساس الحرية الادبية هي المعرفة وحرية الاختيار

حتى يمكن أن يكون لنا هذه الحرية الادبية يجب اولاً أن يكون عندنا قدر من المعرفة بناء عليها يكون لنا الحرية الادبية في الاختيار، أيضاً العامل الاخر الذي يجب أن يتوافر حتى يكون لنا هذه الحرية الادبية هو أن نكون قادرين على الاختيار من بين الاختيارات المختلفة أي نكون أصحاء من الناحية العقلية فليس من المعقول أن نأتي بشخص غير عاقل وبالتالي ليس عنده القدرة على الاختيار ونطالبه بممارسة حريته الادبية فهو بالطبع لن يستطيع ذلك

لان الله هو واضع هذا القانون وهو يعرف ويدرك أهمية إستمرار بقاء إعلان هذا القانون واضح فهو يتدخل على كلا المحورين السابقين الذين يتأسس عليهما هذا القانون وهما المعرفة وحرية الاختيار, فهو لايتدخل في تغيير القانون نفسه بل هو يتدخل للحفاظ على بقاء القانون واضح ومعلن, فعندما تقل درجة إعلان الحق والحقيقة التي هي أساس المعرفة فهو يتدخل لإبقاء المعرفة عالية ومعلنة, فالكثير من التدخلات الالهية في التاريخ وفي حياتنا الشخصية هي تدخلات الهية بقصد الحفاظ على الحق والمعرفة معلنة وواضحة وهذا ما يعلنه الله لنا في الاية التالية:

لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعَلَّنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمُ الَّذِينَ يَخْجِرُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ لِأَنَّ مِنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرَ الْمُنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَالْأَهْوَتُهُ مُدْرَكَةٌ بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ.

(روا: 18-20)

فهو يتكلم عن الغضب الحزن الذي يملاء قلب الله على فجور وأثم وخطية البعيدين ويذكرهم بأنه هو بنفسه يحافظ على معرفته معلنة ومدركة وواضحة للعالم كله منذ خلق العالم, فالامور الغير المنظورة التي لايستطيع الانسان أن يراها بسبب محدوديته قد أظهرها الله لنا, ليس فقط الامور الغير المنظورة بل أيضا قدرته التي هي منذ الازل والى الابد وحتى طبيعته الالهية وصفاته ظاهرة ومدركة بكل ما قد صنع وخلق الله من حولنا لذلك فالانسان لايستطيع أن يدفع بالاعذار أمام الله لكي يبرر جهله وعدم معرفته لان الله بنفسه يحافظ على معرفته معلنة أمام الجميع, يكفي فقط التطلع الى الخليقة من حولنا لكي نتأكد ونؤمن بوجود الخالق العظيم من وراء هذا الكون.

لقد كان الله يراقب ويلاحظ التاريخ فعبر سنوات العهد القديم نلاحظ أن الله كلما رأى أن نور معرفته قد خبا ووضوح رؤيته قد أضمحل يسارع بإرسال نبي من الانبياء ويعطيه القوة لصنع آيات وعجائب ويرسله برسالة واضحة يكلم بها الشعب ليس فقط لشعب اسرائيل (الذي كان هو شعب الله الذي اختاره ليعلن معرفته لكل الشعوب المحيطة) بل أيضا الى كل الامم والشعوب في ذلك الوقت وهذا مانراه في نبؤات النبي إشعيا عن الكثير من الشعوب مثل مصر وأرام وادوم وبلاد العرب وكوش ودمشق, كل هذا من أجل أن يظهر نور المعرفة مرة أخرى فيستعيد الانسان حريته الادبية لكي يختار بين الخير والشر.

لقد كان في الخطة الالهية أن يكتب أناس الله القديسين الكتاب المقدس وذلك لكي يحافظ الله على إعلان نفسه ثابت وواضح ومعلن ومكتوب فالكتاب المقدس هو واحدة من التدخلات الالهية ليُبقي معرفته معلنة وواضحة أمام الناس.

على مدار التاريخ في كل مرة كانت تقوم أمة أو مملكة لكي تطفئ نور إعلان الله وتحيط به لكي لا ينتشر وينير الانسانية كان يتدخل بهدم هذه الامة فيعود نور الاعلان مرة أخرى لينير كل إنسان ولكي تعود مرة أخرى حرية الاختيار لهذا الشعب فيستطيعوا أن يقرروا لانفسهم ويختاروا بين الحق والصواب وبين الكذب والضلال

سمح الله بهذا التقدم التكنولوجي الحادث الان في كل الكون فأضحى العالم قرية صغيرة من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها فما يحدث في مكان ما في منطقة نائية على أطراف الكرة الارضية يُنقل في ثواني معدودة الى الطرف الاخر من الكرة الارضية بواسطة الاقمار الصناعية وشبكة تبادل المعلومات (الانترنت) فلا يستطيع أحد الآن أن يُخفي الحقيقة أو يغلق الابواب أمام الحق الالهي الذي أصبح في متناول كل إنسان إذا كان يريد أن يعرف الحقيقة

فهكذا الله يتدخل دائماً لكي يحافظ على الحق الالهي معن فيستطيع الانسان أن يختار وأيضاً يتدخل لكي تظل حرية الانسان في الاختيار متاحة للجميع.

➤ الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر بالمجتمع سلبياً وإيجابياً

خلق الله الانسان في البداية فرد واحداً متمثلاً في آدم ثم قال الله لنصنع معيناً نظيراً لهذا الشخص فنخلق له رفيق فصارت حواء, فعندما وضع الله قانونه الادبي لتنظيم العلاقات لم يضع هذا القانون لتنظيم العلاقة بينه هو وبين الانسان فقط بل وضعه أيضاً لتنظيم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان, أي أن الله وضع هذا القانون لكي ينظم علاقته بخليفته وينظم علاقة الانسان بالمجتمع الذي يعيش فيه, فعندما يتعامل الله معنا كأفراد فإنه يرانا ويتعامل معنا كأفراد في وسط مجتمع يؤثر في هذا المجتمع سلباً وإيجابياً وأيضاً كأفراد يتأثرون بما في المجتمع سلباً وإيجابياً, فكل واحد منا يؤثر في اصدقائه واولاده وشريك حياته سلباً وإيجابياً على كل المستويات سواء المادية أو النفسية أو الاجتماعية أو الاخلاقية, فإذا تعامل الاباء مع أولادهم بطريقة صحيحة لاشباع احتياجاتهم النفسية والروحية والاجتماعية فسوف ينمون أصحاء والعكس صحيح إذا لم يحرص الاباء على تربية اولادهم تربية نفسية روحية

اجتماعية سليمة فسوف ينمون وبهم العديد من المشاكل النفسية فلن يستطيعوا أن يكونوا في علاقة صحيحة مع أنفسهم أو حتى مع الغير, لكن هذا التأثير الحاد نتيجة وجودنا في مجتمع رغم أنه يؤثر فينا (سلباً وإيجاباً) له حدود فهو لا يحرمننا من حريتنا الادبية, فمثلاً نحن نتأثر سلباً نتيجة وجودنا في المجتمع على المستوى الروحي والاخلاقي وذلك عن طريق القدوة السيئة فننمو وفي أذهاننا نماذج خاطئة عن أشخاص عاشوا بمبادئ أخلاقية غير صحيحة فتبعناهم وشابهناهم وأكتشفنا بعد ذلك خطأ مبادئهم وفساد قوتهم ونستطيع نحن أيضاً أن نؤثر إيجاباً عن طريق نفس المبدأ فنعيش قدوة صالحة في القول وفي الفعل أمام الناس فيرى الناس حياتنا ومبادئنا فيبينوها ويعيشوا مقتضاها فتتغير حياتهم, في هذا المبدأ ينبغي علينا أن نقبل كلا البعدين فنحن نؤثر في المجتمع ونتأثر به سلباً وإيجاباً لا نستطيع أن نقبل بعد ونرفض الآخر لان كلاهما مرتبطان معاً ففي هذا هي العدالة, ولانستطيع أن نرفضهما لان في حالة الرفض سوف لا يكون هناك علاقات بين البشر وهذا مرفوض

بالنسبة لنا نحن اولاد الله هذا خبر مفرح لانه كما أن العالم والشيطان يؤثران بطريقة سلبية على المجتمع فالكنيسة لها كل الحق أن تؤثر على المجتمع بطريقة ايجابية سواء بإعلان الحق الالهي وبالقدوة الجيدة والتأثير المباشر على حياة الناس وبالاقتناع العقلي المنطقي وهذه هي أهمية الكرازة بالانجيل والشهادة عن الاخبار السارة التي لنا, فعندنا وعندنا وحدنا نحن المؤمنين بالرب يسوع المسيح الاجابة المنطقية المقنعة الوحيدة لكل شخص يبحث عن الايمان الحقيقي.

واحدة من مفردات هذا القانون هو أنه عندما نطلب من الله أن يتدخل لزيادة مستوى معرفة الله وحرية اختيار الانسان فإن الله يستجيب لطلباتنا وهذا ما نسميه الصلاة التوسلية أو الشفاعية التي هي في قانونها مرتبطة ارتباط وثيق بحكم الله الادبي للخليقة, كما أن الشيطان موجود ويحاول المنتمين له أن يستخدموا القوى الشيطانية بالسحر والأعمال والعرافة في تثبيت سلطان إبليس والتأثير على اولاد الله, فأولاد الله أيضاً في سلطانهم أن يطلبوا من الله التدخل لاعلان قوته وحبه لكل بشر فيؤثروا على العالم ويستأثروا كل فكر الى طاعة المسيح, إذا لم ندرك أبعاد هذا القانون أننا نتأثر ومن حقنا أيضاً أن نؤثر فسوف ننسحب تاركين الساحة لابليس وملائكته لكي يظلموا العالم ويضعوه في الشرير ولكن ادراكنا

لهذا القانون يجعلنا متنبهين الى أهمية دورنا في طلب مجد وقوة الله وإعلان معرفته لكي ينير على كل إنسان فالنور وبهائه دائماً ما يقوى على الظلمة وحلكتها وهذا يبهر مانراه في التاريخ من نهضات روحية عظيمة أشعلت قلوب أمم وشعوب فهنا الكنيسة طلبت وتضرعت الى الله لكي يفتقدها وشعبها وعلى النقيض تماما فنرى أمم وشعوب لم تحدث في وسطهم أي نهضات روحية وذلك لان الله لم يستطع أن يتدخل لان الكنيسة لم تطلب التدخلات الالهية لاعلان مجد وحب الله للانسان وهذه هي مسئولية الانسان التي أعطاها الله له فالله مع أنه هو واضع القانون لا يستطيع أن يكسره والقانون هو أن الانسان مسئول عن طلب مجد الله وإعلان معرفته إذا لم يتخذ الانسان موقعه ويقوم بمسئولته فلن يقوم بها آخر، ففهمنا لقانون الله لحكم الخليقة يجعلنا نعرف أن نعيش في طرق الله وبدلاً من التذمر والتمرد على الاحداث والاشخاص نعيش شاكرين الله واثقين في عدالته وحكمته، أيضاً فهمنا لهذا المبدأ يجعلنا ندرك مدى مسئوليتنا لتغيير العالم وسلطاننا الذي لنا لاعلان النور الحقيقي درسنا في أن الله كلي القدرة والسلطان وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة، فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الأدبية لحكم الكائن الأدبي. ورأينا ستة أمور تميز هذا القانون وهي: أولاً أن محتوى هذا القانون هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس. ثانياً أن القانون الادبي قانون مطلق ينفذ نفسه بنفسه. ثالثاً أن الحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية. رابعاً أن الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة. خامساً أساس الحرية الأدبية هي المعرفة وحرية الاختيار. سادساً الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر به سلباً وإيجاباً.

عندما نضع كل هذه العناصر معاً بجانب بعضها البعض نستطيع أن نري صورة متكاملة واضحة لما يريد الله أن يعلنه لنا، كما أنها تجاوب على الكثير من الأسئلة التي قد تحير أذهاننا وقلوبنا، وفي نفس الوقت ترد على اتهامات عدو كل خير التي يوجهها نحو الله والتي في الكثير من الاحيان قد نجح في أن يضعها في داخلنا. إنها تحمل الإنسان مسئوليته الحقيقية ونتيجة اختياراته التي قرر بنفسه أن يختارها.

في هذه الحلقة، سوف نتناول معاً ما الذي يصنعه الله وما الطريقة التي يتدخل بها

رابعاً: خطة الله لخلاص البشرية

الله يتدخل في البشرية ليبقي الحق معلناً وحرية اختيار الانسان متاحة وهذا التدخل ليس هو تدخل في الحرية الشخصية للإنسان لكي يملي عليه الله ما يريد أن يصنعه بل هو تدخل في التاريخ الإنساني. وكما رأينا منذ بداية الخليقة وكما هو مسجل في العهد القديم كلما نسي الناس الله وطرقه أرسل الله إليهم نبي من الأنبياء ليذكروهم بناموسه وحقه، ومنذ عهد إبراهيم بدأ الله ليس فقط أن يتكلم مع الناس عن الخطأ والصواب أو النور والظلمة بل **شرع الله في تنفيذ خطته لخلاص الانسان** من اختيار البشرية الخاطئ الذي اختارته بالانفصال عن الله حتى يسترد لصالح الانسان حرية اتخاذه لقراره، فإختار الله إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنهم الآباء. وهذه الخطة ليس لها دخل بمصير الأفراد بل هي خطة لصالح البشرية، فهو لم يرغب أحد على قبوله والحياة معه. أيضاً طوال هذه الخطة لم يرفض الله أي إنسان كائناً من كان أراد أن يعيش له وفقاً لمشيئته فمثلاً تدخله في حياة كرنيليوس هو تدخل إلهي بعد وضوح رغبة قلبه في معرفة الله حيث أرسل له ملاكاً يقول له أن يستدعي سمعان بطرس ليكلمه وفي هذا لم يتدخل الله ليجبر كرنيليوس على الإيمان بالرب يسوع.

وعندما ظهر الله بقوة لشاول الطرسوسي وهو في طريقه لكي يحارب المسيحيين ليعتبر هذا إرغاماً أو ضغط عليه لكي يغير من إرادته وهذا ما شرحه بولس بعد الإيمان في رسالته إلى تيموثاوس فهو يعترف أنه فعل هذا بجهل وفي عدم إيمان ظناً منه أن هذا هو مايريد الله أن يفعله وأن مايفعله يرضي الله، فتكلم الله له بهذه الطريقة لكي ينبهه بأن مايفعله لايرضيه ولايسره بل بهذا قد أصبح ضد الله:

- "أنا الذي كنتُ قبلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِّداً وَمُفْتَرِياً وَلَكِنِّي رُحِمْتُ، لِأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلِ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ". (1تي: 1: 13)

وهذا ما نراه في هذه الأيام من غيرة وحماسة وإضطهاد للمسيحية ظناً من فاعليها أنهم يرضون الله وبطيوعونه. لذا، يصنع الله الأمر نفسه بأن يعلن ذاته لهؤلاء الناس تارة بروى وتارة بأحلام فيفهمون أن ما يصنعونه هو ضد الله فيقبلونه مخلصاً ورباً وفادياً.

أحياناً يتدخل الله تدخلات خارقة للطبيعة لا ليرغم الإنسان أن يفعل ما لا يريد بل ليساعده ويشجعه أن يفعل ما يريد أي ليوفر للإنسان الإرادة الحرة حتى يستطيع أن يفعل الصالح. **يحفظ الله العالم من الهلاك** ليعطي للإنسان فرصة التوبة والرجوع، فالعالم الذي نعيش فيه يحتوي في ذاته على أسباب تدميره والتي تتمثل في الكم الهائل من القنابل النووية وأنواع البكتريا والفيروسات التي اخترعها العلماء خصيصاً لكي يدمروا البلاد الأخرى، فإذا ما قرر الله أن يسحب يد رحمته وطول أناته عن هذا العالم فلسوف يحترق ويتدمر نهائياً في لحظات معدودة.

ويبقى السؤال وهو: لماذا اختار الله أناس لكي يحقق بهم خطته وينفذها في هذا العالم بينما لم يختار الباقيين في ذلك، أليس هذا ظلماً وجوراً؟ لماذا اختار الله يعقوب ولم يختار عيسو؟ لماذا اختار راحاب على الرغم من أنها ليست من شعب الله؟ أراد الله أن يعلمنا ويفهمنا أن هذا الطريق هو طريق النعمة للذي لا يستحق، فيعقوب وراحاب وغيرهم كثيرين لم يكونوا مستحقين رحمة ومحبة الله لهم. إنها النعمة التي تعطي وتغدق العطاء لمن لا يستحق.

أيضاً اختار الله داود لكي يتم به خطته لأنه وجد قلب داود حسب قلبه، واختار الله إبراهيم لأجل إيمانه، وصموئيل لأجل طاعته. في كل مرة اختار الله شخصاً لكي يتم به مشيئته اختاره لسبب محدد وواضح وليس لكي يحقق مزاجه الشخصي.

خامساً: تدخل الله في حياة الإنسان

يتدخل الله في حياة الإنسان بصور مختلفة وبطريقة لا تسلبنا حريتنا ولا تدفعنا رغماً عنا إلى إتخاذ قرار عكس إرادتنا، بل هو يتدخل لكي يرفع مستوى وقيمة الحق الإلهي وأيضاً لكي يوفر للإنسان الحرية الكاملة لكي يختار اختياراً حراً فمثلاً الله يتدخل:

■ بأعمال الرحمة والعناية

"لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمِطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ." (مت 5: 45)، فالله مُصر كل الإصرار على أن يبارك الأشرار كما يبارك الأبرار حتى تلين قلوبهم وتفتح لرسالة الإنجيل فيتخذوا قرارات صحيحة ويرجعوا إلى الله الحي.

■ بالإنذار والتأديب

مثل شعب نينوى الذين أرسل الله إليهم يونان بإنذار فرجعوا عن طرقهم وتابوا إلى الله نادمين على الشر، فالله لم يجبرهم على التوبة والرجوع بل هم من قرروا أن يسمعا صوت الله الذي ينادي عليهم: "قَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَنْعَبْ فِيهَا وَلَا رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتٍ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتٍ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلَا أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نَيْنَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبِهَائِمُ كَثِيرَةٌ!»." (يون4: 10, 11). وفي نفس الوقت نرى أمم وشعوب يتكلم الله إليهم بالإنذار والتأديب ولكنهم لا يسمعا ولا يرجعوا.

■ بحسب ما يسمح له الفرد

يتدخل الله في حياتنا بقدر ما نسمح نحن له أن يتدخل، وهذا ما يفسر لنا سبب إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده أكثر من إمكانية تدخله في حياة الآخرين، فأولاده أي المؤمنين به يستطيع الله أن يتدخل في حياتهم بطريقة أعمق لأنهم يسمحون له بذلك وقد أعطوه الحق أن يتدخل لأنه يعيش في داخلهم. أيضاً درجة إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده متفاوتة فليس كل المؤمنين به يعطونه الحق الكامل والحرية أن يتدخل ويصنع ما يشاء، فالبعض يمسك على الله الكثير من الأمور التي لا يريد أن يتدخل فيها وبالتالي فالله يحترم حرية إرادة الإنسان فيرفض أن يتدخل، فليس كل أولاد الله يستطيعون أن يختبروا حضور الله بنفس المقدار أو أن يروه في ظروف حياتهم سواء الحزينة أو السعيدة بنفس الوضوح، ليس لأن الله عنده محاباة فيفضل شخص عن آخر بل لأن الإنسان هو من يختار درجة قربه من الله وليس الله هو من يقرر درجة القرب هذه. وفي الآيات التالية نرى كيف أن تدخل الله وقربه من حياتنا يتوقف على مقدار انفتاحنا واقتربنا وطلبنا إياه:

- "إِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ" (يع4: 8)

- "وَتَطْلُبُونِي فَتَجِدُونِي إِذْ تَطْلُبُونِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ". (إر29: 13)

- "النَّقِثُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقْصَايِ الْأَرْضِ لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ". (إش45: 22)

- "وَوَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوْنَ حَسَبَ قَصْدِهِ". (رو8: 28)

مبادئ تدخل الله في حياة الإنسان

على الرغم من كوننا أفراد في مجتمع نتأثر ونؤثر فيه سلباً وإيجاباً، فالله لا يتركنا في العالم لتجوز علينا كل تجارب الشرير وخاصة المؤمنون به، فهو يتدخل لكي يحمي المؤمنين به بالدرجة التي تجعله في نفس الوقت لا يحد حرية الآخرين أو يغير قراراتهم التي اتخذوها رغماً عنهم، لذلك لا يوجد ما نسميه القضاء والقدر أو المقدر والمكتوب بل هي تدخلات إلهية وفقاً لمبادئ محددة وهي:

■ الله لا يسمح أن نجرب فوق ما نستطيع

يضع الله الحدود للشرير وأعدائه لكي لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع أن نحتمل، فهو يعلم قدرتنا وطاقتنا على الاحتمال.

■ يعطي مع التجربة المنفذ

سمح الله لإخوة يوسف أن يلقوه في البئر لكنه كان يحميه من أن يُقتل. أيضاً سمح الله أن يُظلم في بيت فوطيفار فوضع في السجن السياسي لكن الله أعطاه نعمة في عيني السجن لكي يستطيع أن يحتمل فترة السجن فأقامه على المسجونين

- "لَمْ تُصِْبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلَّا بَشْرِيَّةٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ آمِينَ الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تَجْرِبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمُنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا". (1كو10: 13)

■ يستخدم التجربة للتركيبية للأفضل

- "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرَ تَرْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةَ رَجَاءً وَالرَّجَاءَ لَا يُخْزِي لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْكَسَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا". (رو4: 3-5)

- "الَّذِي بِهِ تَبْتَهَجُونَ، مَعَ أَنْكُمْ الْآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - نُحْرِثُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبِ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَرْكِيَةً إِيْمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". (1بط1: 6, 7)

- "عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ". (يع1: 2)

■ الله يكون معنا في وسط التجربة

- "لَأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أَنْجِيهِ. أَرْقَعُهُ لِأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أَنْقَذَهُ وَأَمَجَّدَهُ. مِنْ طُولِ الْأَيَّامِ أُشْبِعُهُ وَأُرِيهِ خَلَاصِي." (مز 91: 14, 16)، ففي عمق التجربة نجد الله معنا يتحد بنا ويمسك بيدنا، وهذا ما يعلنه لنا الكتاب في قصة الفتية الثلاثة، فعندما ألقاهم نبوخذ نصر في أتون النار وكانوا ثلاثة أشخاص، رأى الملك ومن معه رابعاً وهو الشبيه بابن الآلهة يتمشى معهم في الاتون:

- "حِينَئِذٍ تَحَيَّرَ نَبُوخَدَنْصَرُ الْمَلِكُ وَقَامَ مُسْرِعاً وَسَأَلَ مُشِيرِيهِ: [أَلَمْ نُلْقِ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ مُؤْتَقِينَ فِي وَسْطِ النَّارِ؟] فَأَجَابُوا: [صَحِيحٌ أَيُّهَا الْمَلِكُ]. فَقَالَ: [هَا أَنَا نَاطِرٌ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَتَمَشُّونَ فِي وَسْطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌ وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ شَبِيهٌ بِابْنِ الْآلِهَةِ]. (دا 3: 24, 25)

- "فِي كُلِّ ضَيْقِهِمْ تَضَايِقَ وَمَلَكَ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ." (إش 63: 9)

■ يحول الشر إلى الخير

يكون الله معنا في وسط الضيق والتجربة وكذلك يحول الشر الذي أراده الشرير إلى خير لنا ولكل المحيطين بنا، وهذا ما نراه أيضاً في سفر دانيال عن الفتية الثلاثة فبعد ما اختبروا اختبار المعية والرفقة الإلهية المذهلة، أمر الملك أن يقدم الفتية الثلاثة على كل ولاية بابل:

"حِينَئِذٍ قَدَّمَ الْمَلِكُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنْعُو فِي وِلَايَةِ بَابِلِ." (دا 3: 30)، و عوضاً عن أمر الملك باللقاء في أتون النار أمر الملك بأن كل إنسان يتكلم على إله الفتية الثلاثة يعاقب: "فَمَنْنِي قَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّ كُلَّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّوءِ عَلَى إِلَهٍ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنْعُو فَإِنَّهُمْ يُصَيِّرُونَ إِرْباً إِرْباً وَتُجْعَلُ بِيُوتُهُمْ مَزْبَلَةً إِذْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ هَكَذَا" (دا 3: 29)

كذلك ما نراه في قصة يوسف بعد اختباره العميق أن الله يرافقه وكان معه في كل أزمة من الأزمات التي مر بها وأخيراً رفعه الله ليصبح ثاني المملكة ويستخدمه لإستبقاء حياة أمم وشعوب كثيرة، فقد قال يوسف لإخوته: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا." (تك 50: 20)

ناقشنا السؤال الذي حير الملايين من البشر وهو: هل الإنسان مخير أم مسير؟ هل هو يخضع لما نسميه في مجتمعاتنا العربية القضاء والقدر أو القسمة والنصيب؟ ورأينا كم تبعد

هذه الأفكار عما يقوله الكتاب المقدس، فلا يصح أن تكون الاجابة واحدة من تلك الاختيارات سواء مسير أم مخير، فالإنسان ليس مسيراً بالكامل ولا مخيراً بالكامل فهو كائن حر له حرية الاختيار الأدبي أو الأخلاقي سواء في علاقته مع الله أو مع الآخرين، وهذا البعد هو الذي يحدد سعادته وفرحته سواء هنا على الارض أو في الحياة الابدية، فنحن البشر لنا الحرية الكاملة في الاختيار في أمور عظيمة وهامة تؤثر على سعادتنا ومصيرنا وفي نفس الوقت ليس لنا حرية في اختيار بعض القرارات التي عادة يكون تأثيرها على حياتنا بلا قيمة تذكر. وفي رحلتنا هذه- حتى نستطيع أن نفهم الخط الفاصل ما بين هذا وذاك- ذكرنا أن الله وضع قانون لحكم الحياة، فخلق الطبيعة ووضع لها القانون الذي يحكمها وكذلك خلق الكائن الحي ووضع له القانون الذي يحكمه. خلق الله الإنسان كائن أدبي حر ومسئول ووضع له قانون الحرية والمسئولية الذي به يحكم هذا الكائن الادبي، وتكلمنا عن عناصر هذا القانون الستة التي تُكمل بعضها البعض والتي ترسم صورة متكاملة لعناصر هذا القانون والتي تُجيب على العديد من التساؤلات التي تملأ عقولنا وقلوبنا.

في هذه الحلقة، سوف نبدأ معاً في استعراض بعض القضايا الشهيرة الموجودة في الكتاب المقدس والمطروحة أيضاً على الساحة الإيمانية في المجتمع المسيحي والتي تبدو لأول وهلة أنها متناقضة مع كل ما درسناه في الحلقات الماضية.

أشهر هذه القضايا هو مانسميه **قضية الاختيار**، بمعنى هل المؤمنون مختارون؟ وهل هم مختارون لانهم اختاروا أن يؤمنوا بالرب يسوع أم أن المسيح قد اختارهم بغير إرادتهم وبحسب علمه السابق تم تعيينهم للخلاص؟ وإذا كان هذا هو مفهوم الاختيار، فهل هذا يتناقض مع حرية اختيار الانسان في تقرير مصيره الأدبي والسلطان الإلهي؟

نستعرض الكثير من الآيات التي تتكلم عن هذا الموضوع "الاختيار":

- "1 بُولُس، رَسُوْلُ يَسُوْعَ الْمَسِيْحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، اِلَى الْقَدِيْسِيْنَ الذِّيْنَ فِي اَفَسَسَ، وَالْمُؤْمِنِيْنَ فِي الْمَسِيْحِ يَسُوْعَ. 2 نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنْ اللهِ اَبِيْنَا وَالرَّبِّ يَسُوْعَ الْمَسِيْحِ. 3 مُبَارَكُ اللهُ اَبُو رَبَّنَا يَسُوْعَ الْمَسِيْحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَهٍ رُوْحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيْحِ، 4 كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيْسِ الْعَالَمِ، لِنَكُوْنَ قَدِيْسِيْنَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، 5 اِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبَنِّيِ بِيَسُوْعَ الْمَسِيْحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسْرَّةٍ مَشِيئَتِهِ، 6 لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي اُنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوْبِ، 7 الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، 8 الَّتِي اَجْرَلَهَا لَنَا

بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ عَرَفْنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، 10 لِتَدْبِيرِ
مِلءِ الْأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، فِي ذَلِكَ
الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نَلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ
مَشِيئَتِهِ، 12 لِئَلَّا نَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. 13 الَّذِي فِيهِ أَيْضًا
أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِجْبِلَ خَلَاصِكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خْتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ
الْقُدُّوسِ" (أفسس 1 : 1 - 13)

- "سَلِّمُوا عَلَى رُؤُوسِ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ وَعَلَى أُمَّهِ أُمِّي" (رومية 16 : 13)

- "عَالَمِينَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللَّهِ اخْتَارَكُمْ" (1 تس 1 : 4)

- "وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ
اللَّهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلَاصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". (2 تس 2 : 13)

- "لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى
الْخَلَاصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ". (2 تي 2 : 10)

- "لِأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بَكَرًا بَيْنَ
إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا.
وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلَاءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا". (رو 8 : 29, 30)

- "بَطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى الْمُتَعَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنُوسٍ وَغَلَاطِيَّةٍ وَكَبْدُوكِيَّةٍ وَأَسِيَّا
وَبِيثِينِيَّةٍ، الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللَّهِ الْآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْتَرَّ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَالسَّلَامُ". (1 بط 1 : 1, 2)

- "لِأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ". (مت 22 : 14)

- "وَلَوْ لَمْ تُقَصِّرْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصِّرُ تِلْكَ الْأَيَّامُ." (مت 24: 22)

- "لَأَنَّه سَيَقُومُ مُسَحَاءٌ كَذِبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمَكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً." (مت 24: 24)

- "مَنْ سَيَسْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ!" (رو 8: 33)

- "فَكَذَلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضاً قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ." (رو 11: 5)

- "فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللَّهِ الْفَدِيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ احْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضَعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ" (كو 3: 12)

- "لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلَاصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ." (2 تي 2: 10)

- "هُؤَلَاءِ سَيَحَارِبُونَ الْخُرُوفَ (الْحَمَلَ)، وَالْخُرُوفَ (الْحَمَلَ) يَغْلِبُهُمْ، لِأَنَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ." (رو 17: 14)

فسر البعض هذه الآيات وغيرها التي تتكلم عن نفس هذا الموضوع بالطريقة التالية: إن كل البشرية كان مآلها الضياع والضلال ونتيجة لذلك فالكل مصيره الهلاك الأبدي، وليس هذا فقط بل البشرية في ضلالها أضحت غير قادرة على سماع صوت النداء الإلهي أو حتى قادرة على وضع إيمانها في الإله الحي وهذا ليس خطأ الله بل هو خطأ الإنسان ومسئوليته، ولكن الله في رحمته الكثيرة مد يده ليختار بعض من الناس لينعم عليهم بالإيمان في شخصه ويعطيهم النعمة الإلهية لينالوا الخلاص الإلهي، أي أن كلا من الإيمان والنعمة هما عطايا

إلهية، ولا يمكن للإنسان أن ينالهما بنفسه. وبحسب هذا المفهوم يصنع الله كل شيء، فهو المسئول عن تقديم الخلاص للجنس البشري وأيضاً هو المسئول عن قبول الخلاص من ناحية البشرية، وللتدليل على هذا يسوقون قصة معجزة إقامة لعازر فالرب يسوع قد أقام لعازر من الموت دون أدنى مشاركة من لعازر نفسه فهو لم يستطيع أن يفعل شيئاً لأنه ميت في قبره فليس له قدرة على الحياة.

هذا الفكر نجده في عقول الكثيرين من المؤمنين، ولكنه يتناقض مع كون الإنسان كائن أدبي مسئول وله حرية اختيار تحديد مصيره الأدبي، فهذا الفكر يعطي الله السلطان المطلق على حياة الانسان وبالتالي يناقض هذا الفكر ما نفهمه عبر صفحات الكتاب المقدس عن حرية الانسان ومسئوليته وقضاء الله وسلطانه وحتى يمكننا تفسير الآيات السابقة وتوضيح العقيدة التي تسمى الاختيار فسنبدأ بالآتي:

(1) الكفارة هي للجميع

عندما قدم المسيح نفسه كفارة عن الخطية قدم نفسه ليس عن مجموعة من الناس فقط لكي يمحى خطاياهم بل قدم نفسه كفارة عن العالم أجمع أي عن كل البشرية، فإذا كان الله قد اختار بعض الناس لكي يفديهم، فلماذا إذاً مات لأجل الجميع ودفع هذا الثمن الباهظ وهو يعرف أنه لن يُخلص كل البشرية؟ أيضاً هل الله في محبته الغير محدودة التي أحبنا بها من الممكن أن تكون إرادته أن ينفذ فقط قلة قليلة من البشر ويترك الباقي إلى العذاب الأبدي؟ هنا العديد من الآيات التي توضح وتؤكد أن الكفارة للجميع:

- "فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا بِيَرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ
الْهُبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ". (رو5: 18)

- "لأنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذَا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ". (2كو5: 14, 15)

- «وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءً كَانَ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» (كو 1: 20)

- "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَيَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رو8:32)

- «الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ» (1تي 2: 6)

- "وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلًا بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب2: 9)

لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس تذكر أن المسيح بذل نفسه لأجل المؤمنين به أو المختارون فقط.

وعلى نفس هذا المنوال إذا كانت الكفارة هي للجميع، فماذا عن الحب الالهي هل هو للجميع أم هو لبعض من الناس؟ إذا كان للجميع فلماذا يمد الله يده لينقذ مجموعة من الناس ليعطيهم نعمة الخلاص والباقيين يهلكون، فكيف يكون هذا حباً؟

(2) المحبة والخلاص للجميع

- "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". (يو3: 16)

- "الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَالِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ" (1تي2: 4)

- "لَا يَنْبَاطُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ النَّبَاطُ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ". (2بط3: 9)

- "قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أُسْرُ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشَّرِيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. إِرْجِعُوا ارْجِعُوا عَنْ طَرِيقِكُمُ الرَّدِيئَةِ. فَلِمَآذَا تَمُوتُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؟" (حز33: 11)

يوضح الوحي في الآية الأخيرة رغبة الله الصادقة المخلصة الباحثة عن الحياة لشعب إسرائيل وكأنه يتوسل إليهم أن يرجعوا عن طرقهم لحيوا، ويتساءل متعجباً: لماذا قررتم أن تسلموا حياتكم للموت، فإذا كان الله بالحقيقة بيده السلطان للاختيار فلماذا لم يختارهم؟! وهل يُعقل أن الله في موضع كهذا يظهر وكأنه يرجوهم أن يرجعوا إليه ويختار فيهم لاجل اختيارهم الخاطئ، وفي موضع آخر كأنه يصرف وجه عنهم ليختار فئة أخرى بحسب استحسانه؟!!

من هم المختارون وما معنى كلمة الاختيار؟

هناك ثلاث معان لكلمة الاختيار، وهي تظهر جلياً في كل الآيات السابق عرضها:

1) إن الله اختارنا في المسيح

اختار الله أن يكون الخلاص من خلال تقديم المسيح نفسه كفارة عن جميعنا، بمعنى آخر إنه من خلال عمل المسيح في الصليب الله مد يده لكي يخلصنا، فليس الاختيار هنا هو تعيين جماعة من البشر لنوال نعمة الخلاص، لكن الاختيار هنا معناه إن الله اختار المسيح لتكون لكل من يؤمن به الحياة الأبدية، ويكون هو الطريق والحق والحياة أيضاً، وهذا ما نراه في المقطع الكتابي الذي ذكرناه سابقاً من رسالة أفسس (1 : 1 - 13).

يوضح الرسول بولس في هذا المقطع ماهية الاختيار، ففي بداية الآيات أقرن كلمة "الاختيار" بكلمة "فيه" حتى نخبرنا ويؤكد لنا بأن الاختيار والتعيين هو في المسيح، ثم استمر في باقي الآيات يردد كلمة "فيه" حتى أنه كررها إحدى عشر مرة. إذاً الموضوع الذي

يركز عليه الوحي في هذا المقطع الكتابي ليس هو موضوع الاختيار بل الرب يسوع الذي فيه قرر الله أن يختارنا ويُعيننا ويرحمنا وبياركنا وينعم علينا.

(2) إن الله اختار جماعة

المعنى الثاني للاختيار والذي يظهر في الآيات السابقة هو الاختيار الجماعي وليس الاختيار الفردي، بمعنى أن الله اختار جماعة من الناس وليس أفراداً وهذه الجماعة هي الكنيسة، وحتى ندرك بالفعل أن الاختيار الجماعي هو من طرق الله التي يتعامل بها مع الانسان سنرجع إلى العهد القديم عندما صنع الله عهده مع شعب إسرائيل واختارهم جماعة ليعلن نفسه في وسطهم فيكونون أمة شاهدة عنه وحاملة لمجده وليأتي المخلص من وسطهم. وبالمثل في العهد الجديد قطع الله عهده مع الكنيسة التي هي جسده، فكل من يقرر أن ينتمي لهذا الجسد ليصير عضو فيه وذلك عن طريق أن يختار الرب يسوع مخلصاً شخصياً له ويولد الولادة الروحية التي من فوق فهو مختار للحياة الأبدية، وكل من قرر بحرية إرادته أن يرفض هذا الجسد الذي هو الكنيسة وينفصل عنها فهو يقرر بالتالي أن ينفصل عن مصدر الحياة الذي هو الرب يسوع فيكون غير مختار للحياة الأبدية والخلاص. وهنا نفترض أن هناك دائرة وهذه الدائرة هي الجماعة المختارة، فكل من يختار أن يدخل هذه الدائرة فهو بالطبع يصير من المختارين وكل من يريد أن يظل خارج هذه الدائرة فهو من غير المختارين:

- "عَالَمِينَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنْ اللَّهِ اخْتِيارَكُمْ" (1تس 1 : 4)

- "وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنْ اللَّهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلَاصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ". (2تس 2 : 13)

- "لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلَاصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدِ أَبَدِيٍّ". (2تي 2: 10)

(3) الإختيار بحسب علم الله السابق

- "لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلَاءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلَاءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلَاءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا". (رو 8: 29, 30)

يلاحظ في هذا النص أن الله " سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ"، فكلمة المعرفة سابقة على كلمة التعيين، فاختياره وتعيينه لهم ليس على أساس الغضب والاجبار وإنما على أساس معرفته السابقة لهم، فهو يختار ويعين الذين يعرف أنهم يقبلون نعمته في كمال حريتهم وإرادتهم.

- "بَطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى ... الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللَّهِ الْآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِيُكْتَنَزَ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَالسَّلَامُ". (1بط 1: 1، 2).

أيضاً في هذا الشاهد، يعلن الوحي أن المختارين هم بحسب علمه ومعرفته السابقين.. وهم سوف يقبلونه رياً ومخلصاً فهم مختارين بحسب علمه السابق وليس حسب إرادته في أن يختار البعض ويرفض البعض الآخر.

هذه هي **الثلاث معاني** لكلمة "الاختيار" التي وردت في كل الآيات التي تتكلم عن هذا الامر في الكتاب المقدس، وهذه المعاني مبنية ومؤسسة على حقيقة متفق عليها وهي أن الكفارة للجميع والحب الالهي هو لكل البشرية وأن الدعوة والأشواق الإلهية هي للعالم أجمع.

أخيراً، في نهاية هذه الحلقة نتناول الآية التي جاءت في رسالة أفسس والتي يُبنى عليها فكرة أن الاختيار هو من الله:

- "لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الْآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقِ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ". (أفسس 2 : 7 , 8)

الكثيرون يفسرون هذه الآية بأن الخلاص هو بالفعل عمل النعمة وطريقة الحصول عليه هو بالإيمان الذي هو أيضاً ليس منا، بمعنى آخر أن جملة "وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ" تعود على الإيمان وعلى النعمة أيضاً، فإذا كان التفسير هكذا فما هو دور الانسان في الخلاص؟! هذا يعني

بأن الانسان ليس له دور في الخلاص فالله هو الذي ينعم علينا بالخلاص والله أيضاً هو الذي يعطينا الإيمان لكي نستطيع أن نتجاوب مع الخلاص الالهي المقدم لنا! لكن بالتدقيق يتضح لنا التفسير الصحيح لهذه الآية وهو أن الخلاص ليس بحسب إمكانياتنا البشرية بالفعل بل هو بالنعمة التي ليست منا فجملة " وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ " تعود على النعمة، أما الطريقة التي بها ننال الخلاص فهو الإيمان بالرب يسوع المسيح، وهذا الإيمان هو الدور الإنساني الذي به يتجاوب البشر مع النعمة الإلهية المقدمة لنا. يتضح لنا هذا عند الرجوع للغة الأصلية التي كُتبت بها العهد الجديد وهي اللغة اليونانية، ففي أصول هذه اللغة ثلاثة أنواع لجنس الكلام فهناك المذكر والمؤنث والمحايد، وبالتدقيق وجدنا أن كلمة "الإيمان" **πίστις** هي كلمة مؤنثة، وكلمة "ذلك" **τούτο** هي كلمة محايدة، وبالتالي لا يمكن أن تشير كلمة "ذلك" إلى كلمة "الإيمان" لاختلافهما في الجنس بل تشير إلى كلمة "الخلاص" لأن هذه الكلمة تأتي محايدة مثل كلمة "ذلك".

وهناك قول آخر يعترض على كون الإيمان هو دور إنساني يقوم به الشخص حتى يمكنه أن يقبل الخلاص، وذلك حتى لا يكون هذا الإيمان هو مصدر افتخار الانسان على الله على إعتبار أن الانسان عمل عملاً عظيماً الذي هو الإيمان حتى يستحق أن ينال به الخلاص. ولكن دعونا ندقق في حجم هذا العمل الذي عمله الإنسان، هل هو بالفعل عمل استحق منه مجهوداً كبيراً أم هو مجرد إعلان قبوله لعمل نعمة الله في قلبه؟ فأين الافتخار إذاً؟ هل قبولنا لعمل النعمة هو إنجاز يدفعنا إلى الافتخار أم تصديقنا للحب الإلهي المجاني يجعلنا نتعالى على مصدر هذا الحب الغير محدود؟ أين الافتخار إذاً!!؟

نتكلم عن سلطان الله ومسؤولية الإنسان، فالله الذي هو صاحب السلطان قد وضع القوانين الأدبية التي تسمح للإنسان أن يعيش بحرية محدودة، وهذه الحرية المحدودة تكفيه أن يختار بنفسه سعادته في هذا العالم وفي العالم الآتي أيضاً. وقد شرحنا في الحلقات الماضية هذا القانون بأبعاده المختلفة، ثم بدأنا في الحلقة الماضية رحلة لإعادة تفسير بعض القضايا الإيمانية المطروحة على الساحة، متخذين من النظرية التي سبقنا وشرحناها أساساً لهذا التفسير.. وقد بدأنا هذه القضايا بنظرية الاختيار.

في هذه الحلقة، سوف نتناول قضية أخرى يظهر فيها من قرائتنا للآيات وكأن الله يتحكم في إرادة الناس وإختيارتهم في الحياة حيث يقسي من يشاء ويرحم من يشاء. هذه القضية هي قلب فرعون.

قضية قلب فرعون

- "فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَىٰ بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ. لِأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهَذَا بِعَيْنِهِ أَقْمُتُكَ لِكَيْ أَظْهَرَ فِيكَ قُوَّتِي وَلِكَيْ يُنَادَىٰ بِاسْمِي فِي كُلِّ الْأَرْضِ». فَإِذَا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقْسِي مَنْ يَشَاءُ". (رو 9: 16-18)

في عدد (16): " فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَىٰ بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ" يعلن الله بوضوح أنه ليس بسعينا ومجهودنا ننال الرحمة الالهية بل هي رحمة الله التي تستطيع أن تصل الينا في كل زمان ومكان. أيضاً يعتبر هذا العدد تفسيراً توضيحياً يسوقه الرسول بولس لما جاء في سفر الخروج حيث قال موسى لله: "أَرِنِي مَجْدَكَ". فَقَالَ: أَجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ عَلَىٰ مَنْ أَتَرَأَّفُ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ" (خر 33 : 18 , 19). ولنا هنا ملاحظة توضيحية على الآية السابقة وهي أن الله لم يقل أنه يرحم من يشاء ويقسي من يشاء بل أنه يرحم من يشاء ويتراءف على من يشاء، فلا يوجد أي حديث عن أنه يقسي من يشاء. ولكن في الأعداد من رسالة رومية يقولها صراحة عن أنه: "يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقْسِي مَنْ يَشَاءُ"، وقد قسى قلب فرعون بالفعل لكي يُظهر فيه قوته أمام الامم والشعوب، فهل هذا فعلاً ما قد صنعه الله بفرعون؛ أنه قد قسى قلبه لكي يضربه بالضربات العشر؟ ولكن ما هو الذنب الذي اقترفه فرعون حتى يعامله الله هكذا؟ وهل هذه هي رحمة الله أنه في رحمته لشعبه يهلك شخص آخر؟ وإذا كان الله يريد أن يُظهر مجده وقوته هل يختار شخصاً ضعيفاً لكي يستعرض عليه قوته الغير محدودة؟ أما كان يكفي ضربة أو اثنتين فقط ثم بعدها يطلق الشعب؟ كل هذه الاسئلة وأكثر منها تدور في أذهاننا وقلوبنا ونحن نقرأ هذه الآيات التي تحكي هذه القصة.

بدايةً يجب علينا أن نرجع إلى القصة الأصلية التي ذكرت في سفر الخروج حتى نجد إجابة للسؤال التالي الذي يعتبر هو المفتاح الذي يفتح أمامنا هذه القضية وهو: هل كان فرعون في بداية القصة وديع القلب وطلب الله لكن الله رفضه وبدأ يقسي قلبه حتى يعانده، فينتهز الله

هذه الفرصة كي يضربه الضربات العشر ويتمجد أمام الأمم والشعوب أم أن فرعون كان قاسي القلب والله استخدم هذه القساوة لكي يظهر مجده؟

لنجد الاجابة علينا أن ندقق في قرائتنا للأحداث، ونبحث في بداية كلام الله لموسى عن هذا الفرعون وذلك في (خر 3 : 19): "وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمَّضُونَ وَلَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ". في هذه الاية يتكلم الله إلى موسى ليعلن معرفته بهذا الفرعون الذي لن يوافق على خروج الشعب وأنه قاسي القلب، وذلك حتى لاينزعج موسى في مواجهته فرعون عندما يرفض الاخير أن يُطلق الشعب. وأيضاً يعلن الله لموسى الطريقة التي سوف يتبعها لكي يجعل فرعون ينفذ ما طلبه موسى منه، فليس هذا هو قرار الله أن يجعل فرعون يتنقى.

مرة أخرى نقرأ ما كتبه الوحي عن فرعون:

- "فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ قَدْ أَبَى أَنْ يُطْلِقَ الشَّعْبَ " (خر7: 13, 14)

- "وَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ كَذَلِكَ بِسِحْرِهِمْ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. ثُمَّ انصَرَفَ فِرْعَوْنُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يُوجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى هَذَا أَيْضاً " (خر7: 22, 23)

- "قَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرْجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. " (خر8: 15)

في كل مرة يحاول موسى مع فرعون أن يسمح لهم بأن يخرجوا من مصر، كان فرعون يُغلظ قلبه ويُقسية. وفي المرات العديدة التي كان الوحي يذكر فيها هذه العبارة " كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ " كأن الوحي يريد أن يقول لنا أن هذا هو ما قد رآه الله في قلب فرعون بحسب علمه ومعرفته الغير محدودة فهو قاسي القلب ومتصلف ولا يريد أن يطيع الله.

بعد كل المحاولات التي صنعها موسى مع فرعون ووقوف السحرة أمام موسى في محاولة منهم أن يهزموا القوة التي جاءت بموسى ليقف أمام فرعون مستخدمين سحرهم وشياطينهم لكي يبطلوا قدرة الله، فَقَالَ الْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هَذَا إصْبَعُ اللَّهِ». "وَلَكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ". (خر8: 19)

لقد اعترف العرافون أمام فرعون بالاعتراف الحسن أن هذه هي قوة الله التي لا طاقة لهم ولا لإنسان بأن يقف أمامها، فما كان من فرعون إلا أن أغلظ قلبه وقساه أكثر فأكثر.. هذا

الذي كان حرياً به أن يرجع إلى الله ليتوب عن عناد قلبه وقساوته ويسمح لشعب الله حينذاك أن يخرج من أرض مصر ليعبد الله في أرضه، ولكنه لم يفعل واستمر في عناد قلبه وهذا ما نقرأه في الآيات التالية:

- "وَلَكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضاً فَلَمْ يُطَلِّقِ الشَّعْبَ" (خر 8: 32)

- "وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَإِذَا مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَلَا وَاحِدٌ وَلَكِنْ أَغْلَظَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطَلِّقِ الشَّعْبَ". (خر 9: 7)

- "وَلَكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى". (خر 9: 12)

وهنا يذكر الكتاب ولأول مرة أن الرب شدد قلب فرعون ولكن بعد أربع مرات (كما رأينا في الآيات السابقة). لقد قرر فرعون وبإصرار أن يعاند المشيئة الالهية وأن يغلظ قلبه فلا يفهم ويسد أذنيه فلا يسمع، وكأن الله كان يريد منه أن يفهم ويقبل القرار الإلهي لينفذه ولكن أمام غلاظة قلبه قرر الله أن يتركه لعناده وقساوته، وهذا ما يوضحه الوحي في رسالة رومية: "وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْفُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيْقُ". (رو 1: 28). لقد اسلمه الله لقساوة قلبه وعناده، ثم قرر أن يستخدم حال قلبه الغليظ لكي يعلن الحق وليبقي المعرفة الصحيحة واضحة معلنة أمام أعين الجميع. ثم عاد مرة أخرى فرعون إلى قساوته "وَلَكِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَطَرَ وَالْبَرْدَ وَالرُّعُودَ انْقَطَعَتْ عَادَ يُخْطِئُ وَأَغْلَظَ قَلْبَهُ هُوَ وَعَبِيدُهُ". (خر 9: 34)

وبالمثل أيضاً (قصة راحاب الزانية) والتي لم تكن من شعب الله واستضافت الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع ليتجسسا الأرض. لقد آمنت بالله وأرادت أن تربط مصيرها بمصير شعبه فكان هذا اختيارها، فعاملها الله حسب رحمته وعلمه أنها مخلصه القلب: "فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ. رَا حَابُ الزَّانِيَةِ فَقَطَّ تَحْيَا هِيَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهَا قَدْ حَبَّاتِ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمَا". (يش 6: 17)

مثال آخر على أن الله يعاملنا بحسب اختياراتنا التي نختارها وهو شعب الجبعونيين الذين بخدعة جعلوا رؤساء إسرائيل يقطعون لهم عهداً بالسلام حيث تظاهروا أنهم جاءوا من أرض بعيدة وهم قادمون من بلد مجاورة لهم، وقد صنعوا كل هذا حتى يعاملهم شعب إسرائيل بالرحمة، وقد كان، لأنهم اختاروا أن يدخلوا تحت مظلة رحمة الله فعاملهم الله بالرحمة طبقاً للقانون الذي وضعه.

قضية قلوب الملوك

- "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ". (أم 21: 3)

هل معنى هذه الآية أنه يوجد بعض الناس بسبب وضعهم ومركزهم لا يوجد لديهم حرية الاختيار بل أن الله يميل قلوبهم إلى حيث يشاء هو وبحسب ما يريده بغض النظر عن إرادتهم الشخصية ورجبتهم وبالتالي يظهر أن الله يتحكم في مصائرهم؟ بالطبع ليس هذا هو المعنى المقصود في هذه الآية، بل أن المعنى هو أنه بسبب الوضع الخاص لبعض هؤلاء الناس مثل الملوك والرؤساء وتأثيرهم على الشعوب التي يحكمونها والأمم المحيطة بهم، فالله يستخدمهم لتحقيق مشيئته وخطته الالهية للخلاص التي ليس لها علاقة بالاختيارات الشخصية في الحياة، فهو يتم خطة خلاصه التي وضعها لأجل البشرية دون العبث أو التحكم في مصائرهم أو اختياراتهم الشخصية لخالص أنفسهم. الآية هنا تتكلم عن صناعة التاريخ وليس عن مصائر البشر. وأصدق مثال على ذلك هو فرعون ملك مصر، فالله لم يحول قلبه دون إرادته رغماً عنه ليطلق الشعب، بل لقد صنع الله مشيئته رغماً عن إرادة فرعون وعناد قلبه، فهنا الله يتدخل لكي يبقى الحق معلناً أمام شعبه وأمام الأمم المحيطة به فهو يكتب تاريخ معاملات الله مع البشر.

والمثال الثاني هو هيرودس، لم يحول الله قلب هيرودس ويعبث بإرادته حتى لا يقتل أطفال بيت لحم، بل صنع مشيئته وأنقذ الطفل يسوع، وفي نفس الوقت لم يسمح الله لهيرودس أن يقتل أطفال أورشليم تحقيقاً للنبوة التي وردت في سفر إرميا: "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتُ سَمْعَ فِي الرَّامَةِ نُوْحٌ بُكَاءٍ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَرَّى عَنْ أَوْلَادِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا

بِمَوْجُودِينَ" (إر30: 15) وذلك لأن النبي يرى الحدث يتحقق أمامه لذلك فهو يكتب عنه ويصفه وليس العكس بمعنى أن النبي يتنبأ ثم يبدأ الله في تحقيق هذه النبوة.

إن هذه الآية: "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ". (أم21: 3) ليس معناها أن البشر كالعرائس في يد الله يحركهم كيفما يشاء دون اعتبار لإرادتهم، بل معناها أنه لا يستطيع أحد أن يقف أمام خطة الله لخلاص العالم. تستطيع فقط أن تختار مصيرك الأبدي فهو ملك يمينك لكن تنفيذ خطة الله لخلاص العالم هي مسئولية الله، لذلك يوصينا الله أن نخضع لكل ذي سلطان حتى لو كان غير صالح لأن الله يستطيع أن يستخدم صلاح الملك وأيضاً يستطيع أن يستخدم شره لتحقيق مقاصده لخلاص الشعوب والأمم.

- "أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطُّ، بَلْ لِلْعَنَفَاءِ أَيْضاً". (1بط2: 8)

- "لأنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِيًا يُلَاحِظُ وَالْأَعْلَى فَوْقَهُمَا". (جا5: 8)

، نستكمل دراسة ومناقشة بعض القضايا الأخرى الشهيرة والتي فيها تحتار عقولنا وقلوبنا في فهمها، وفي كيفية مصالحة سلطان الله وقدرته مع حرية الإنسان في الاختيار وحقه في تقرير مصيره الأبدي.

القضية الثالثة: الله خالق الخير وصانع الشر

نستعرض بعض الآيات الموجودة في الكتاب المقدس والتي من الممكن أن تثير الكثير من الحيرة وعدم الفهم لطرق ومبادئ الله

- "لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ." (إش45: 6, 7)

نتساءل ونحن نقرأ هذه الآية: كيف يمكن أن يكون الله هو خالق الشر مع أنه كلي الصلاح؟! ثم كيف يكون خلق الشر أو خلق الظلمة، هل هما بالفعل يحتاجان الى الخلق؟ ولكن هما موجودين، فمن هو الذي أوجدهما؟ كيف جاءت هذه الآية الغريبة في كتابنا المقدس؟ وإذا كان الله هو خالق الخير والشر فلماذا يحاسبنا على اختياراتنا مادام هو

صانعهما؟ ولماذا هذه الحيرة، الله يخلق الشر ويتلذذ بأن يشاهدني أختار بل أختار في الكثير من الاحيان بينهما أم ماذا؟! هذه بعض الأسئلة التي تملأ أذهاننا عن هذه القضية الخطيرة والتي في أغلب الأوقات يشوه حلها صورة وحقيقة الصلاح الإلهي.

- "هَلْ يَسْفُطُ عُصْفُورٌ فِي فَخِّ الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ شَرِكٌ؟ هَلْ يُرْفَعُ فَخٌّ عَنِ الْأَرْضِ وَهُوَ لَمْ يُمَسِّكْ شَيْئًا؟ أَمْ يُضْرَبُ بِالْبُوقِ فِي مَدِينَةٍ وَالشَّعْبُ لَا يَرْتَعِدُ؟ هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةِ الرَّبِّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟" (عا3: 5, 6)

حاولت بعض الديانات حل هذه القضية الشائكة بالإعتقاد أن الله له خمس أوجه مختلفة ثلاثة ذكورية واثنين أنثوية. الثلاثة أوجه الذكرية تمتاز بدوافعها الخيرية والإثنين الأخريين ذات دوافع شريرة. إذاً، الشر موجود في الذات الإلهية وبهذه الطريقة يفسرون مصدر الشر ووجوده. وعليه، في النهاية الله هو مصدر كل شئ الخير والشر، فكيف يمكن لنظرية سلطان الله ومسئولية الانسان أن تحل لنا هذه القضية المعقدة وتخلصنا من شكوكنا في صلاح الله ومحبه لنا؟

وحتى نتقدم معاً رويداً رويداً في حل هذه القضية دعونا نطرح السؤال التالي: هل الظلمة تحتاج إلى خلق ؟

في الإجابة على هذا السؤال نقول إن الذي يحتاج إلى الخلق هو النور وهذا ما نجده في سفر التكوين: "وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ." (تك1: 3), لم يقل الله أبداً في كل الكتاب المقدس وخاصة في سفر بدايات الكون (التكوين) أنه خلق الظلمة كما خلق النور، ولكن الظلمة تتكون وتوجد عندما يغيب النور، فغياب الشئ يعني وجود عكسه، فمثلاً الله هو خالق الحياة وهذا مانراه في سفر التكوين وفي غياب الحياة يوجد الموت، فالله لم يخلق الموت ولكنه خالق الحياة.

تناول فرانسيس شيفر هذه الفكرة، وهو واحد من الفلاسفة المسيحيين العظماء الذين رحلوا تاركاً لنا ميراثاً هائلاً من الفكر المسيحي المستتير العقلاني الواعي. في كتابه "إله غير صامت" يتناول الوجود ويعرفه بأنه مبني على وجود الشئ، وعدم وجود الشئ يعني وجود عكسه، فعدم وجود الإستقامة معناه وجود الإعوجاج وعدم وجود الحق معناه وجود الكذب، فخلق الشئ ووجوده معناه وجود عكسه تماماً.

الخطوة الثانية في شرح هذه القضية إجابة السؤال: ما معنى كلمة الشر؟

في اللغة العربية يوجد معنى واحد لكلمة الشر، لكن الكلمة باللغة الإنجليزية تأتي بمعنيين مختلفين عن بعضهما اختلافاً تاماً، الأولى تعني الشر بمعنى الخطية أو الفعل الأثيم أو النية الرديئة أو التوجه الشرير وهي باللغة الإنجليزية Evil - Wickedness-Iniquity ونفس هذه الكلمة "الشر" باللغة الإنجليزية تأتي بمعنى كارثة أو مصيبة Disaster - Adversity - Calamity

- "لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرَ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ." (إش: 45: 6, 7)

كلمة الشر في هذه الآية في اللغة الإنجليزية بمعنى Adversity أي "مصيبة" وليست بمعنى Evil فهو هنا يتكلم عن (المصائب والبراكين والرياح والعواصف) وليس عن فعل وإرادة وإختيار الشر.

- "هَلْ يَسْقُطُ عُصْفُورٌ فِي فَخِّ الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ شَرَكٌ؟ هَلْ يُرْفَعُ فَخٌّ عَنِ الْأَرْضِ وَهُوَ لَمْ يُمَسِّكْ شَيْئاً؟ أَمْ يُضْرَبُ بِالْبُوقِ فِي مَدِينَةٍ وَالشَّعْبُ لَا يَرْتَعِدُ؟ هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟" (عا: 3: 5, 6)

هنا يتساءل الكاتب عن كيف يمكن أن تحدث كارثة أو مصيبة مثل زلزال أو بركان والله لا يعلم به، فكلمة البلية هنا معناها الكارثة وليست الخطية والاثم، فالله هو كلي الصلاح والممتلئ محبة لكل خليقته وليس هذا فقط بل هو يمد يده بهذه المحبة وهذا الصلاح طوال

اليوم وكل يوم لخليقته، فكيف يمكن له أن يؤذيها ويضرها فيخلق الاثم والخطية. الله الذي هو نور وليس فيه ظلمة البتة، كيف له أن يخلق الظلمة ليعيق البشرية؟

- "وَهُوَ أَيْضاً حَكِيمٌ وَيَأْتِي بِالشَّرِّ وَلَا يَرْجِعُ بِكَلَامِهِ وَيَقُومُ عَلَى بَيْتِ فَاعِلِي الشَّرِّ وَعَلَى مَعُونَةِ فَاعِلِي الإِثْمِ." (إش: 31: 2)

في هذا الشاهد نلاحظ وجود كلا المعنيين عن الشر في ثلاث كلمات متتالية. الكلمة الأولى تأتي بمعنى Disaster أي الكارثة وتتسبب هنا إلى الله؛ الحكيم الذي يعرف كل شيء ويستخدم معرفته لخير البشرية وهو أيضاً الذي يعرف وقت حدوث الكوارث والأزمات. والكلمة الثانية والثالثة تأتي بمعنى evildoers و Iniquity أي الذين لهم رغبات ونوايا شريرة خاطئة.

- "لَأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ". (أي: 34: 10)

هنا كلمة الشر تأتي بمعنى Iniquity أي أن الله بعيد جداً عن إرادة وفعل الشر.

- "لَا يَقُولُ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجْرَبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجْرَبٍ بِالشَّرِّ وَهُوَ لَا يُجْرَبُ أَحَدًا." (يع: 1: 13)

هنا كلمة الشرور تعني Evil فالله لا يجرب أحداً بالشر لأنه لا يضر ويؤذي الإنسان على الإطلاق، ليس فقط الصالحين بل الأشرار أيضاً، فهو لا يفكر على الإنسان بالشر بل على العكس هو يبغض الشر لأنه في غير صالح البشرية التي قد خلقها.

القضية الرابعة: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو». (رو: 9: 11-13)

في بداية مناقشة هذه القضية يجب التعرض لما يسمى بمبادئ التفسير للكتاب المقدس، فالكتاب وضع لنا مبادئ لتفسيره ولم يتركنا حيارى في ذلك، وهذه المبادئ ثابتة لا تتغير كما هو الحال مع القوانين الإلهية التي وضعها الله لحكم الخليقة كما استعرضناها معاً في الحلقات الأولى من هذا الموضوع، فهي قوانين ثابتة. أما بالنسبة لقوانين ومبادئ التفسير،

فلقد كتب الدكتور القس فهيم عزيز في كتابه "علم التفسير" عن هذه المبادئ التي يجب فهمها واتباعها لنصل إلى تفسير صحيح للكتاب المقدس كلمة الله، وفيما يلي مبدأ من هذه المبادئ وهو "القرينة". جاء في كتابه عن القرينة:

"تعتبر دراسة القرينة من أهم عناصر تفهم علم التفسير ويمكن أن يقال بأن القرينة لعبارة أو فقرة ما في أي سفر من أسفار الكتاب المقدس هي كل ما يسبق أو يلحق هذه الفقرة في نفس الأصحاح أو الجزء الكتابي أو كل ما يشابه أو يوازي هذه الفقرة المفسرة، سواء أكان هذا الجزء الموازي في نفس السفر أو في كتاب آخر، علماً بأن هذه القرينة لا بد وأن يكون لها ارتباط بالجزء المفسر بطريقة يمكن معها توضيحه أو القاء الضوء عليه وعلى ملابساته، والقرينة على هذا الأساس مهمة جداً في التفسير، ولطالما أخطأ المفسرون بتجاهلهم هذه الحقيقة ففصلوا الجزء الذي يفسرونه عما يتصل به وكأنه يقف وحده في الكتاب دون أي ارتباط بما يسبقه أو يلحقه"

ولقد تمكنا من استخلاص هذا المبدأ من الآية التالية: "الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاً لَّا بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةً إِنْسَانِيَّةً بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ." (1كو2: 13)، فمقارنتنا للجزء المراد دراسته مع نظيره ومع قرينته التي كُتبت فيها يعطي المعنى الدقيق والواضح للفقرة الكتابية التي نقوم بدراستها.

والآن دعونا نتناول هذه القضية وهذه الآية في ضوء مبدأ القرينة الذي تكلمنا عنه:

«أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو». (رو9: 11-13)

بدراسة القرينة التي جاء فيها هذا المقطع نجد أن موضوع الفقرة هنا هو خطة الله لفداء البشر أو المسار الإلهي الذي اختاره الله لكي ينفذ خطته لخلاص البشرية، وكما رأينا في دراستنا لمبادئ تدخل الله في حياة الأفراد في الحلقات السابقة وجدنا أن الله يتدخل ليبقي الحق معلناً وليس لكي يحدد مصائر الناس الأبدية.

والسؤال المحوري الذي بإجابته سوف نستطيع أن نحل هذه القضية هو ما معنى أَبْغَضْتُ عَيْسُو؟ هل تعني أن الله قد كره عيسو وأحب يعقوب. لكي نجيب على هذا السؤال، دعونا نقرأ الآيات التالية:

- "وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عَيْسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ ... وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَأَزَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. فَرَكَضَ عَيْسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ"

وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. وَبَكَيَا... فَقَالَ: «مَاذَا مِنْكَ كُلُّ هَذَا الْجَيْشِ الَّذِي صَادَفْتُهُ؟» فَقَالَ: «لَأَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي». فَقَالَ عَيْسُو: «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ». فَقَالَ يَعْقُوبُ: «لَا. إِنَّ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ تَأْخُذُ هَدِيَّتِي مِنْ يَدِي لِأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَكَ كَمَا يُرَى وَجْهَ اللَّهِ فَرَضِيَتْ عَلَيَّ. حُذِّ بَرَكَتِي الَّتِي أُتِيَتْ بِهَا إِلَيْكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَلِي كُلُّ شَيْءٍ». وَأَلْحَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ. (تك33: 1-11)

من هذه الآيات نرى كيف أن الله قد بارك عيسو بركة عظيمة جداً إذ قال ليعقوب «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ» فإذا كان الله قد أبغض عيسو بمعنى أنه قد كرهه، فلماذا يباركه الله هكذا ويفيض عليه بكل الغنى المادي الذي باركه به؟ إذاً، فالحب والبغضة هنا لاتعني البركة واللعنة وإلا كان الله قد لعن عيسو فأفقره مادياً.

في هذا الموقف لايعنى بيعقوب أو بعيسو كأشخاص بل القرينة الكتابية تعني كما قلنا بتدبير النسل الذي سوف يأتي منه المسيح مخلص العالم، فالله قد اختار ابراهيم ثم اختار إسحق الذي ولد عيسو وهو الأكبر ثم يعقوب الأصغر، وبحسب الشريعة فعيسو هو المستحق للبكورية، وبحسب الفكر البشري يأتي المسيح من نسل عيسو الذي هو بحسب الشريعة البكر، لكن فكر الله لم يكن هكذا، لا لأن عيسو قد صنع شراً ما فالكتاب يقول: "لَأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُوَلَدَا بَعْدُ وَلَا فَعَلَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللَّهِ حَسَبَ الْإِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو". (رو9: 11) ولا لأي سبب آخر سوى أن يعقوب لا يستحق البركة، فالآية واضحة أن قصد الله في الاختيار ليس حسب أعمال أحدهما بل حسب النعمة التي يعطيها الله لنا؛ نحن الذين لا نستحق. وهذا هو مفهوم الخلاص الذي يقدمه الله للعالم الذي يُبنى على النعمة التي يمنحها الله وليس حسب الاستحقاق البشري. إنها نعمة مجانية تُعطى لمن لا يستحق.

وهنا لا يتكلم الكتاب عن المصير الروحي لكلا من يعقوب وعيسو، فلا يعني طالما أن الله قد اختار يعقوب فقد اختاره للحياة الابدية وبالتالي فقد اختار عيسو للهلاك الأبدي، فهو لم يتكلم هكذا ففي أغلب الظن سوف نجد يعقوب في السماء وكذلك عيسو أيضاً، فالله له كل الحرية حسب ما يراه مناسباً لخليقته أن يأتي ابنه من يعقوب أو من عيسو.

القضية الخامسة: افتقاد ذنوب الآباء في الأبناء

- "لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ." (خر 20 : 5)

- "الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ لِكِنَّهُ لَا يُبْرِي. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ." (عدد 14 : 18)

معنى الآيات السابقة التي تتكلم عن افتقاد ذنوب الآباء في الأبناء أن الواقع المادي الذي نراه هو أن ما يفعله الآباء ويرتكبونه من أخطاء يؤثر تأثيراً مباشراً على الأبناء، فمثلاً الأب السكير المدمن الخمر والغير مخلص والقاسي سوف يترك أثراً وجروحاً وندبات في حياة أبنائه، وهذا يعدّ تطبيقاً لأحد عناصر القانون الأدبي الذي درسناه معاً في بداية هذه الدراسة، فمن مكونات هذا القانون أن الانسان فرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، لكن الناس قد أخطأوا فهم هذا العنصر في القانون الأدبي وظنوا أن الله سوف يعاقبهم على الشرور التي فعلها الآباء في زمانهم وأنهم ضحايا هذا الاله الظالم المستبد، وعندما رأى الله خطأ فهمهم قال هذه الكلمات:

- "وَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ: مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الْآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرَ وَأَسْنَانُ الْأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ." (حز 18 : 1-3)

- "فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَا يَقُولُونَ بَعْدُ: [الآباءُ أَكَلُوا حِصْرًا وَأَسْنَانُ الْأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ]. بَلْ: [كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ]. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ." (إر 31 : 29 - 30)

أما في العهد الجديد فنجد رد الله واضح في هذه القضية وذلك عندما قابل الرب يسوع الأعمى منذ ولادته: " وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلَادَتِهِ، فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ : يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟ أَجَابَ يَسُوعُ: لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِنَظَرِ أَعْمَالِ اللَّهِ فِيهِ." (يو 9 : 1-3)

لقد كان فكر اليهود لايزال مشبعاً بهذه الفكرة الخاطئة، فهذا الأعمى قد وُلد هكذا بسبب خطأ والديه وذلك رغم الآيات الموجودة في العهد القديم والتي يتكلم الله فيها بوضوح عن عدم جواز التفوه بهذا القول.

كيف تتناغم قدرة الله وسلطانه غير المحدودة مع حرية الانسان الادبية المحدودة وحقه في اختيار سعادته الحاضره ورغبته في تقرير مصيره الابدي وممرنا معاً على بعض القضايا التي يقف أمامها فهمنا الخاطيء عن من هو الله وماهي القوانين التي وضعها الله لكي يحكم بها خليفته الادبية ورأينا كيف يتوافق فكر الله وطرقه الصحيحة مع فهمنا ودراستنا للكتاب المقدس فتضاء أذهاننا وتستنير قلوبنا

أما في هذه الحلقة الاخيرة من دراستنا عن سلطان الله وقضاؤه ومسئولية الانسان عن اختياراته فسوف نتناول معاً الوجهة التطبيقية العملية لهذه الدراسة وكيفية الاستفادة عملياً في كل أبعاد علاقتنا سواء مع الله أو مع نفسي أو مع الاخرين من كل ما درسناه في السابق ولذلك ستكون هذه الحلقة عبارة عن مشاركات شخصية عن ما تعلمناه من هذا الموضوع